مجلة شهرية

Issue No: 101 عدد:

January 2016 كانون الثاني

نور المسيح

ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

يسوع المسيح الغالب

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

تَجَسُّد الكَلِمَة

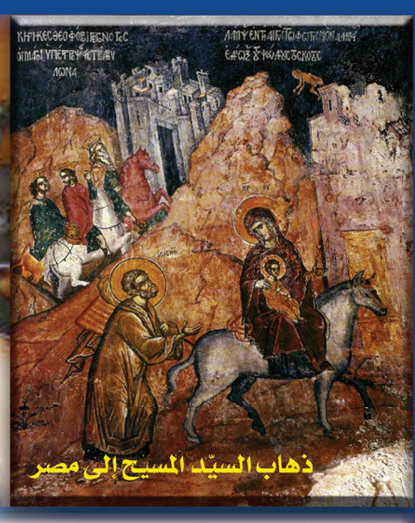

ميلاد ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح بالجسد

ذهاب السيّد المسيح إلى مصر

مدينة بيت لحم
(القرن التاسع عشر)

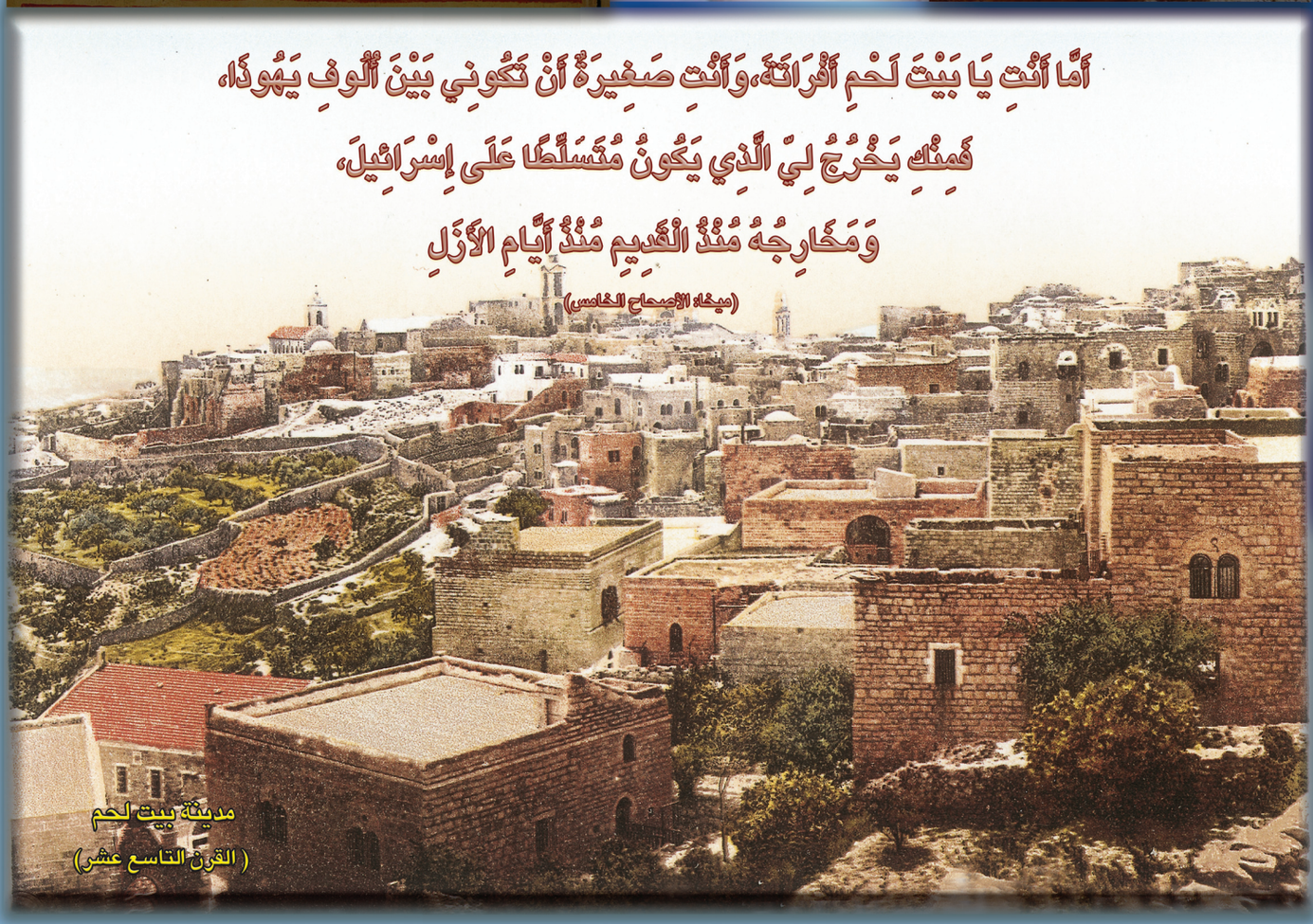

تتقدم جمعية نور المسيح

بأحر التهاني وأجمل التبريكات

الى غبطة البطريرك

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

وسائر اعمال فلسطين والأردن

بمناسبة حلول عيد الميلاد المجيد وراس السنة الجديدة

طالبين من الله ان ينعم عليكم بتمام الصحة والعافية والعمر المديد

وان يتعهد هذه الكرمة (الكنيسة) ويصلحها لأن يمينك قد غرستها

لسنين عديدة ومديدة يا سيد

كل عام وانتم بخير

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث
بمناسبة بدء السنة الجديدة

«يا كلمة الآب الكائن قبل الدهور في صورة اللّه. يا مَن أقامَ الخليقة من العَدَم إلى الوجود ، وجعل الأوقات والأزمنة بسلطانه الخاص. بارك عمل يديك» (الأينوس – ١).

أيّها الأبناء المحبوبون بالربّ الفادي، يسوع المسيح . أيّها الزوّار الحسنو العبادة

إنّ بداية السنة الجديدة حسب تفكير كنيستنا تتخذ وتنال معنىً احتفاليًّا وخلاصيًّا ، لأنّ السرّ الخفيّ منذ الدهور للتدبير الإلهيّ ، ظَهَرَ لنا بكلمة الآب الذي قبل الدهور ، بالمسيح إلهنا ومخلصنا الذي أقام الخليقة من العَدَم إلى الوجود، وجعل الأوقات والأزمنة بسلطانه.

«الوقت ، حسب القديس باسيليوس الكبير هو: الفترة التي تمتدّ في تقويم العالم».

هذه الفترة تتميّز بالدورة السنويّة المتكرّرة للوقت الجاري ، أي الوقت الفاسد ، الخاضع لعبوديّة الفساد ، فهذه الفترة ومعها الخليقة ستُحرّر من خلال ربّنا يسوع المسيح الذي أتى إلى العالم.

إنّ مصير الخليقة يكشفه لنا بولس الإلهيّ : « لأن الخليقة نفسها أيضًا سَتُعتَق من عبوديّة الفساد إلى حريّة مجد أبناء اللّه » (رومية ٨: ٢١).

هذا الحدث يعني الحريّة من عبوديّة الفساد . الوقت المحدود إلى حريّة المجد، أي الملكوت الأبديّ لأبناء اللّه. الذي جمعنا اليوم لنحتفل بإشراق السنة الجديدة . وكذلك بتذكار **القديس باسيليوس الكبير** رئيس أساقفة كباذوكية أحد آباء كنيستنا العظام ، وفي هذا الاحتفال التقليدي يتمّ قطع الكعكعة (پاسيلوپيتا) التي تحمل اسمه الكريم.

عيد نهاية السنة السابقة، والدخول في السنة الجديدة التي ابتدأت من خلال كنيستنا المقدّسة المتأسّسة على الكلام النبويّ ، وخاصّة في كلام أشعياء النبيّ ذي البوق الصارخ العظيم ، حيثُ يتعلّق الكلام بالكِرازة الخلاصيّة لربّنا يسوع المسيح، كلمة اللّه الذي تأنّس

غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث

لأجلنا ، حيثُ مُسِحَ من اللّه الآب. «روح السيّد الربّ عليّ لأنّ الربّ مسحني لأبشّر المساكين ، أرسلني لأُعصّب منكسري القلب ، لأنادي للمسبيين بالعِتق وللمأسورين بالإطلاق. لأنادي بسنةٍ مقبولةٍ للربّ» (أشعيا ٦١: ١-٢).

إنّ الكنيسة تضع أمام أعيننا هذه الآية: «السنة الجديدة المقبولة للربّ» لنُدرك معناها الخلاصي ، ليتسنّى لنا أن نفكّر بجديّة نحو الهدف المنشود لدعوة المسيح المُرسلة لنا : «لأجل جَعالَة دعوة اللّه العليا في المسيح يسوع» .

لهذا الهدف أيّها الأخوة الأحباء، نحنُ مدعوون لأن نُصبح من ناحية كارزين ومُبَشّرين بكلمة اللّه ، ومن ناحية أخرى نتبع ونقتدي بإرشادات القديس باسيليوس الكبير ، الذي أضحى كارزًا لكلمة اللّه، إذ أصبَحَ متمثّلًا بالرسول الإلهيّ بولس، فالرسول بولس يأمرنا: « أيها الأخوة أنا لستُ أحسِبُ نفسي أنّي قد أدركت (أي أنا لم أُفكّر بأنّني أجبتُ وبشكلٍ كامل عن فحوى رسالتي هذه). ولكني أفعل شيئًا واحدًا إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتدّ إلى ما هو قُدّام. أسعى نحو الغرض لأجل جَعالَة دعوة اللّه العليا في المسيح يسوع» (فيلبّي ٣: ١٣-١٤).

بالإضافة لهذا نطلب نعمة ورحمة ربّنا بارىء الخليقة. ومع مرنّم الكنيسة نقول: يا مَن خَلَقَ كُلّ البرايا بحكمةٍ لا تُفَسَّر. ووضع الأزمنة بسلطانه الخاصّ. هَب الغلبات لشعبك المُحب المسيح ، ولأخويّة القبر المقدّس العريقة بأصالتها ضدّ قوى الشيطان ، وهَب السلام للعالم ولمنطقتنا التي تنوء بالتجارب الكثيرة. وبارك مدخل السنة ومخرجها مسدّدًا أعمالنا على ما يوافق مشيئتك الإلهيّة. آمين

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

اليوم وُلد لنا مُخلِّصٌ الذي هو المسيح الربّ

تقديم:

في عيد الميلاد المجيد نحتفل بـ "سرِّ التقوى العظيم" (١تي ٣:١٦). فيه نفرح بأنَّ الله الكلمة "ظهر في الجسد"؛ إذ أَخَذَ جسدًا وصار إنسانًا مثلنا، عمانوئيل: "الله معنا". هذا الحَدَث السرِّي قد استحوذ على فكر آبائنا القديسين في صلواتهم وتأمُّلاتهم، كما أنه تجلَّى في كتاباتهم وأقوالهم التي انبثقت من خبراتهم وصارت كنزًا وزخمًا حيًّا اذَّخروه لأولادهم، كما صارت تقليدًا روحانيًا حيًّا للكنيسة حتى نهاية الدهور. وهم يُشجِّعوننا إلى أن نبلغ إلى مشاركة شخصية لكلٍّ منَّا في سرِّ تجسُّد المسيح الذي تمَّ "لأجلنا ولأجل خلاصنا". ونحاول هنا أن نفهم رسالة تعليمهم من خلال بعض كتاباتهم.

كيف نحتفل بالعيد؟

✝ يُذكِّرنا **القديس غريغوريوس اللاهوتي** (٣٢٩-٣٩٠م) بكيفية الاحتفال بأعيادنا الكنسيّة بقوله:

[فلنحتفل ليس ببهرجة الحياة بل بتقوى؛ ليس بطريقةٍ دنيوية بل بطريقة سماوية سامية؛ ليس بحسب شهواتنا بل حسب شهوته هو، أو بالحري بالطُرق التي تليق بسيدنا؛ ليس بإظهار ضعفاتنا بل بالحري شفائنا؛ ليس بحسب خلقتنا (العتيقة) بل بالحري حسب خلقتنا الجديدة] Sermon 38, PG 36,316A.

✝ ونجد عند **القديس باسيليوس** (٣٢٩-٣٧٩م) أيضًا نصيحة بأن نعيش هذا السرَّ "في سكون" وتبجيل وتقوى. فهو يؤكِّد على ذلك في رسالته: "عن التجسُّد المقدس للمسيح"، قائلاً: "فلنقترب بتوقير إلى تجسُّد الرب". كما يقول فيها أيضًا: "ينبغي أن يُكرَّم تجسُّد المسيح بطريقةٍ تتلاءم مع الله". PG 31,1457C-1476A.

لأنه في السكون تتجلَّى حيوية هذا السر بطريقةٍ تفوق الوصف، وكل شرح عقلي له إنما هو سَلْبٌ وانتهاكٌ لحُرْمة هذا السرِّ، وكأنه محاولةٌ لفرض القوة على التنازُل الإلهي الذي يفوق الوصف، وإنكارٌ للعطية التي نلناها من المذود! **فالقديس باسيليوس** يقول في نفس الرسالة:

[بينما يسجد المجوس للمسيح، يتناقش المسيحيون في كيف أنَّ الله صار جسدًا؟ وما هي طبيعة هذا الجسد؟ وما إذا كان الإنسان الذي حُبِلَ به كاملًا أم ناقصًا؟! فلنظل في كنيسة الله صامتين بخصوص مثل هذه التساؤلات غير النافعة وغير الضرورية، ولنمجِّد تلك الأمور التي نؤمن بها. ليته لا يكون عندئذ فضولٌ بخصوص تلك الأمور التي ينبغي أن تظل غير منطوقٍ بها]!

✝ ويقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** (٣٥٤-٤٠٧م):

[تعالوا، إذن، لنهتم بالعيد ونصنع هذه الذِّكْرى المقدسة... ففي هذا اليوم انتهت العبودية القديمة، وأُخْزِيَ الشيطان، وهربت الأرواح الشريرة، وتحطَّمت سطوة الموت، وفُتِحَت مغاليق الفردوس، وانتُزِعَت اللعنة، والخطيئة ابتعدت عنَّا، والباطل طُرِد خارجًا، والحق قد أُعيد مرةً أخرى، وكلام العطف الرقيق قد انتشر من كل جانب، وغُرِسَت على الأرض طريقةُ حياةٍ سماوية، والملائكة يتَّصلون بالبشر دون خوف، والبشر يتحادثون الآن مع الملائكة!

ولِمَ هذا؟ لأن الله الآن على الأرض، والإنسان في السماء! فالكل يتلاقون من كل ناحية. لقد جاء الرب إلى الأرض في حين أنه بكُلِّيته في السماء، ولكنه بلا نقصان على الأرض. ومع كونه الكلمة الإلهي غير المُدرَك، فقد صار جسدًا لكي يحلَّ بيننا، وحتى أنَّ ذاك الذي لا تسعه السماء يستقبله اليوم مذودٌ! لقد وُضِعَ في مذود حتى أنَّ ذاك الذي به يغتذي الكل، يأخذ غذاء الطفولة من والدته العذراء. وهكذا فإنَّ أبا الأجيال كلها تحتضنه ذراعا البتول

القديس يوحنا الذهبي الفم

كطفلٍ على صدرها... في ذلك اليوم جاء المجوس أيضًا، وكانوا سببًا في أن يبدأ الطغيان المُقاوِم (للحق)، إذ استُعْلِن الرب بواسطة نجم!

وطار الرب إلى مصر راكبًا على سحابة جسده الخفيفة (انظر إش ١٩:١)، لكي يهرب من غدر هيرودس، ولكن أيضًا لكي يتحقَّق كلام إشعياء النبي: «في ذلك اليوم يكون إسرائيل ثُلثًا (أو ثالثًا) لمصر ولأشور، بركةً في الأرض، بما يُبَارِكُ ربُّ الجنود قائلًا: مُبارَكٌ شعبي مصر، وعمل يدي أشور، وميراثي إسرائيل» (إش ١٩: ٢٤، ٢٥). ماذا تقول يا يهوذا؟ مَنْ الذي كان أولًا ثم صار ثالثًا؟ لقد وُضِعَ المصريون والأشوريون قبلك، وإسرائيل البِكْر هو الأخير! بالصواب يكون الأشوريون أولًا حيث إنهم عبدوا الرب أولًا من خلال المجوس، والمصريون بعد الأشوريين حيث إنهم هم الذين استقبلوه وهو هاربٌ من غدر هيرودس، وقد اعتُبِرَت إسرائيل في المقام الثالث حيث إنَّ رُسُل الرب تعرَّفوا عليه بعد معموديته في نهر الأردن!

دخل الرب إلى مصر وجعل أصنامها ترتعد، وذلك بعد أن أغلق مداخل مصر بواسطة إهلاك أبكارها: «هوذا الرب راكبٌ على سحابةٍ سريعة (أو خفيفة الحركة) وقادمٌ إلى مصر. فترتجف أوثان مصر من وجهه، ويذوب قلب مصر داخلها» (إش ١٩:١). وهكذا دخل (الطفل يسوع) اليوم كبِكْرٍ إلى مصر لكي يُنهي نَوْحَها القديم على أبكارها، وبدلًا من الضربات (العشر) المُحزنة، جاء إليها بفرحة الخلاص. إنَّ شريان الحياة (أي نهر النيل) كان قد تلطَّخ باغتيال الأبرياء (الأطفال العبرانيين أيام فرعون)، لذلك دخل الرب أرض مصر التي جُعِلَت في القديم أنهارها حمراء (بسبب ضربة تحويل الماء إلى دم). فهو الآن يمنح الأنهار المتدفقة القدرة على إعطاء الخلاص (بسرِّ المعمودية)، ويُنقِّيها من تلوُّثها ومن بلاياها بقوة روحه القدوس. حينئذ عوقب المصريون وفي غيظهم أنكروا الله، فذهب الرب إلى مصر وملأ النفوس التقية بمعرفة الله...] PG 56, col. 385.

الطفل الإلهي في المذود:

† يقول **القديس أمبروسيوس** (٣٣٩-٣٩٧):

[انظر بأية طريقة تُعِدُّ العناية الإلهية الفائقة طريق الإيمان: فإنَّ ملاكًا يُوجِّه القديسة مريم، وملاكًا يُوجِّه يوسف (خطيبها)، وملاكًا يُوجِّه الرعاة المكتوب عنهم: إنهم كانوا «يحرسون حراسات الليل على رعيتهم» (لو٢:٨)] Catena of Great Fathers Sunday Sermons, Vol. 1, p. 104.

† وفي ذلك أيضًا يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**:

[ظهر ملاكٌ ليوسف في نومه، لأنه كان مستعدًّا أن يؤمن، وظهر للرعاة عِيانًا كما إلى رجال بدائيين؛ ولكن لم يذهب ملاكٌ إلى أورشليم، ولا بَحَث عن الكتبة والفرِّيسيين، لأنهم كانوا فاسدين ويملأهم الحسد. أما الرعاة فكانوا ذوي قلوب جادَّة ويُراعون التعاليم القديمة التي للبطاركة وموسى النبي...] Ibid.

† **والبّار أُغسطينوس** (٣٤٥-٤١٠م) يجمع بين الرعاة والمجوس في إسراعهم إلى المولود، فيقول:

[مَنْ كان هؤلاء الحكماء سوى الباكورات من الأُمم؟ الرعاة كانوا إسرائيليين والمجوس أُمميين، الرعاة من مكانٍ قريب والمجوس من بعيد؛ وكلاهما أسرع إلى حجر الزاوية!... لم يُظْهِر الرب يسوع نفسه للمثقَّفين ولا للأبرار، لأن الجهل كان سائدًا على سذاجة الرعاة الريفيين، وعدم التقوى على تصرُّفات المجوس؛ ولكن حجر الزاوية ربطهما معًا بنفسه. هذا الذي جاء ليختار الجُهَّال لكي يُخزي الحكماء، ولكي يدعو ليس الأبرار بل الخطأة إلى التوبة، وذلك حتى لا يتكبَّر أيُّ عظيمٍ ولا المحتقَرون ييأسون] Sermon 4,2 on the Epiph., De Temp., 42.

ولما سمع الرعاة البشارة الملائكية «جاءوا مُسرعين، ووجدوا مريم ويوسف والطفل مُضْجَعًا في المذود» (لو ٢:١٦).

† **والقديس أمبروسيوس** يقول في ذلك:

[انظر كيف أن الأسفار المقدسة تزن معنى كل كلمةٍ بعناية، لأنه عندما يُرى جسد الرب يُرى الكلمة الإلهي الذي هو الابن (الإلهي)، فلا تجعل ذلك يبدو لك مجرد برهان ضعيف على إيمانك، كَوْن الرعاة من طبقات الشعب الدُّنيا. فالبساطة مطلوبة هنا، أما العظمة والفخامة فهي غير مرغوبة. وكونهم جاؤوا مُسرعين، فذلك لأنه لا أحد يبحث عن المسيح بكسل] On Luke, Ch., 2.

✝ وبخصوص **ولادة الرب من امرأة**، يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**:

[لم يصنع الرب لنفسه في أيِّ مكانٍ آخر هيكلًا حيًّا، ولا أَخَذَ جسدًا آخر غير هذا؛ وذلك حتى لا يبقى البشر في وصمة العار، لأنَّ الإنسان لمَّا خُدِعَ صار عبدًا للشيطان. وهكذا اتَّخذ الرب من ذاك الذي استُعْبِدَ هيكلًا حيًّا له، حتى عندما يلتصق الإنسان بخالقه يُنتزَع منه هذا القيد والخضوع للشيطان] PG 56,385.

✝ ويقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** في شرحه لمعنى: «والكلمة صار جسدًا» (يو ١:١٤):

[عندما أعلن (القديس يوحنا في إنجيله) أنَّ: «كل الذين قبلوه أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله» (يو ١:١٢)، أَظْهَر السبب في هذه الكرامة بقوله: إن «الكلمة صار جسدًا»، لأن ابن الله صار ابنًا للإنسان لكي يُصيِّر أبناء البشر أبناءً لله. ولكن عندما تسمع أنَّ «الكلمة صار جسدًا» فلا تضطرب، لأنه لم يُغيِّر جوهره إلى لحم؛ بل مع بقائه على ما كان عليه (أي إلهًا): «أخلى نفسه، آخِذًا صورة عبدٍ، صائرًا في شِبه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان...» (في ٢:٧،٨)] Hom. 10 on John's Gospel.

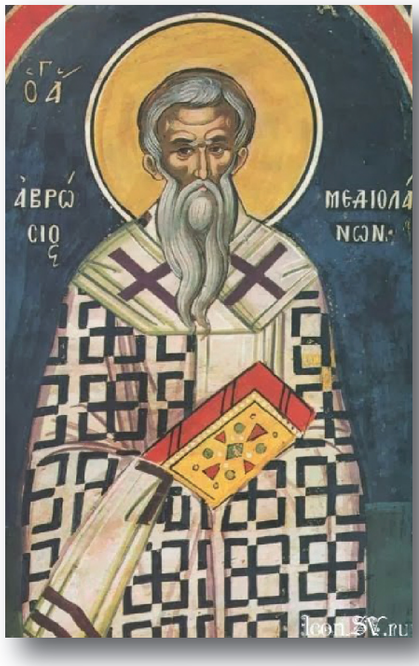

القديس أمبروسيوس أسقف ميلان

✝ «فلما رأوه أخبروا بالكلام الذي قيل لهم عن هذا الصبي. وكل الذين سمعوا تعجَّبوا مِمَّا قيل لهم من الرعاة. وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام مُتفكِّرة به في قلبها» (لو ٢:١٧-١٩).

✝ وفي ذلك يقول **القديس أمبروسيوس**:

[لا نحتقر كلام الرعاة، لأن القديسة مريم أثْـرَت إيمانها من الرعاة، وقد حفظت كل ذلك متفكِّرةً به في قلبها. فلنتعلَّم من العذراء القديسة العفَّة من جميع النواحي، فإنَّ آتِّزانها في كلامها لم يكن بأقل من آتِّزانها في شخصيتها. فقد جمعت في قلبها بهدوء كل آلبراهين على إيمانها] On Luke, Book 2.

عن حراسة الأفكار ؟ للقديس باسيليوس الكبير

❖ ما علاقة النفس بالعقل؟ ❖ وبين النفس والجسد؟ ❖ الدرجات الروحانية العالية إذا سار العقل والجسد في الوضع الطبيعي. ❖ كيف ينشأ الانحراف ؟! ❖ القوّتان اللتان للنفس، وعمل وطبيعة كلٍّ منهما. ❖ ولمن تكون القيادة للسير حسب المنهج السليم ؟ ❖ الجسد ليس علّة الشرّ. ❖ كيف تُرَوِّض النفس حركات الجسد ؟

مصدر الأوجاع (الشهوات الجسديّة):

✝ إذا ملّت النفس، ولم تفكّر فيما ينبغي، ولم تنظر بنظرٍ نقيّ، فحينئذ تقوم عليها آلام الجسد كالكلاب. وكل واحد من هذه الأوجاع يجتذب النفس الى ما يريد.

القوّتان اللتان للنفس:

✝ لأنّني أقول – كما أظن – أن قوى النفس آثنتان، وإن كانت للنفس واحدة:

احدى القوتين متصلة بالجسد ويعيش بها، والقوّة الثانية للنفس (أي القوّة العاقلة) التي خلقها الله للتفكير في الأمور المملوءة مجدًا. وجعل لها حركة في ذاتها، أي لها حريّة الاختيار ، وليس بالطبيعة.

لمن تكون القيادة:

✝ إذا ما حفظت النفس الجزء المفكّر والحارس الدائم، تجعل آلام الجسد تهتدي عن طريقين: الأول أن تتفرّغ النفس لطلب المناظر المناسبة لطبعها. والآخر، بأن تُميِّز قلق الجسد، وتردّه لما هو أفضل.

فإذا ما كَسَلت النفس، وتركت الجزء الناظر (العقل) غير متحرّك بفكره، إلى ما يليق بطبعه، فإنّ آلام الجسد تجد جزء النفس الآخر، الذي قلتُ إن الجسد يعيش فيه فارغًا (بطّالًا) وليس من يمنع حركتها.

وأعني أن الجزء الناطق، عندما تهمله النفس، تجذب آلام الجسد النفس الى عمق الشرّ.

لا تحبّوا العالم ولا شهوات العالم

يا مَنْ يعانِقُ دُنْيَا لا بَقَاءَ لَهَا
يُمْسِي وَيُصْبِحُ في دُنْيَاهُ سفَّارَا
إنْ كُنْتَ تَبْغِي جِنَانَ ٱلخُلْدِ تَسْكُنُهَا
فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ لا تَأْمَنَ النَّارَا

المسيح

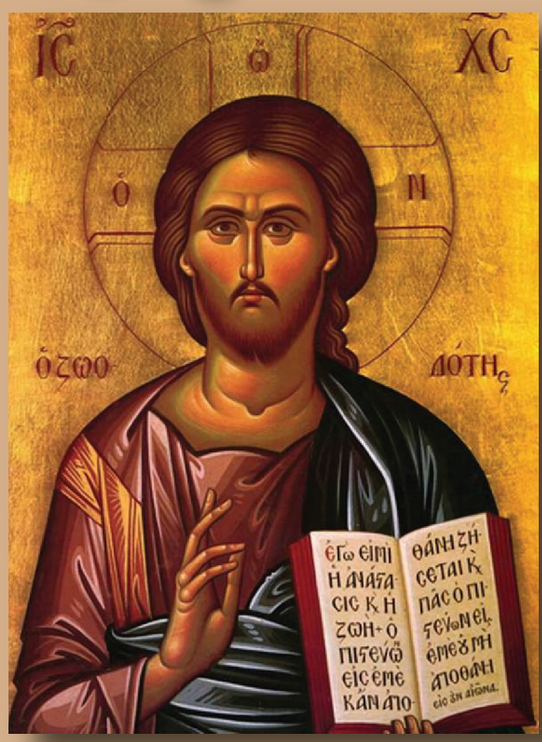

في رسائل القديس يوحنا اللاهوتي (٤)

٤ - بار، قدوس، طاهر، شفيع (Δίκαιος, Ἅγιος, Ἁγνός, Παράκλητος**) :**

مصطلحات خريستولوجية أخرى يستخدمها القديسد يوحنا في الرسائل هي أوصاف المسيح بأنه: «**بار**» (١يو١:٩، ٢:١ ، ٢٩) ؛ «**قدّوس**» (١يو٢:٢٠) ؛ «**طاهر**» (١يو٣:٣) ؛ «**شفيع**» (١يو٢:١).

بار: يُستخدم في إنجيل يوحنا عن الله الآب فقط (٢٥:١٧). وفي سفر الأعمال يمثل مصطلح ولقب للمسيح ويُستخدم باستمرار بهذا المعنى. انظر (٥٢:٧ ، ١٤:٢٢) انظر أيضًا (يع ٥:٦ ، ١بط ١٨:٣).

طاهر: يذكر هذا المصطلح عن المسيح في (١يو٣:٣).

قدّوس: مصطلح يُطلق للدلالة على المسيح (مر١:٢٤ ، يو ٦:٦٩ ، أع ٣:١٤ ، ٤:٢٧ ، ٣٠ ، ١بط ١:١٥ ، رؤ ٣:٧). وهذه المصطلحات تُمَثِّل تراث الكنيسة الأولى، ولها جذور في العهد القديم.

فتعبير طاهر يرتبط بأن يسوع لم يُخطِىء، حسب ما ورد في الرسالة الأولى (١يو٣:٣) وكما ذكر بطرس (١بط٢:٢٢). وهكذا فإنّ المسيح هو مثال للمؤمن لكي يكون «كل من عنده هذا الرجاء به يُطهّر نفسه كما هو طاهر» وهذا يرتبط بطبيعة المسيح الإلهيّة وليس نتيجة كَمالٍ أخلاقيٍّ.

قدّوس، وبار ، وأمين، هي مصطلحات تدلّ على طبيعته الإلهيّة، واستخدامها فيه إشارة إلى أن طبيعة الله الآب لها نفس هذه الصفات، فالمسيح هو القدوس الذي عن طريقه دُعِيَ المؤمنون أبناء الله (١يو٣:١) ،هو البار، وبرّه يظهر في أمانته واستعداده لكي يغفر خطايا المؤمنين (١يو١:٩) (انظر أيضًا ١كو١:٩ ، ١٠:١٣ ، ١تس ٥:٢٥). إذن فمعاني المصطلحات التي تستخدم على المسيح هنا تتطابق مع معاني المصطلحات التي تستخدم بالنسبة لله الآب. وبنفس الطريقة فإنّ مصطلح «بار» يشير إلى مكانته بعد القيامة في يمين الله الآب في الأعالي (١يو٢:١).

٥) أهميّة الاعتراف والمناداة باسم المسيح:

موضوعٌ خريستولوجيٌّ آخرُ ورد أساسًا في الرسالة الأولى ليوحنا، وصبغ كل إيمان الكنيسة عن المسيح، منذ المبشرين الأوائل وحتى عصر الآباء الرسوليين، كان هو موضوع القيمة اللاهوتية لاسم المسيح. فقد كان الاعتراف بالإيمان يتمّ بنطق اسم يسوع المسيح (١يو٣:٢٣ ، ٥:١ ، ٥) وباسم يسوع المسيح كانت تُغفر الخطايا للمؤمنين (١يو٢:١٢) ، والحياة الأبدية تُمنح فقط لمن «يؤمنون باسم ابن الله » (١يو٥:١٣). وهكذا فلدينا في هذه الرسائل مثلما في شواهد أخرى من العهد الجديد والقديم، تعاليمُ لاهوتية تخص الله، وعندما يدعوه المؤمنون باسمه فهذا يعني حضوره الإلهي، ومجده العظيم، بل ويتطابق هذا الاسم مع الله نفسه (أع ٢:٢١).

وفي العهد الجديد، تظهر أهمية خاصة لاسم الرب يسوع فالمؤمنون باستخدامهم هذا الاسم (أع٢:٢١ ، ٩:١٤ ، ٢٢:١٦ ، ١كو١:٢ ، يع٢:٧). فإنّهم يتطهّرون ويتقدّسون ويتبرّرون، وباسم يسوع تتم المعموديّة (أع٩:٢٧)، وبواسطته تخرج الشياطين (أع٩:٢٧)، فلقد أصبح اسم يسوع موضوع العبادة والإيمان، والاعتراف، والتقوى (في٢:٩ ، رؤ١١:١٨) ، بل ومعطي الحياة الأبديّة (١يو٥:١٣).

وفي رسائل يوحنا، فإن الاعتراف والصلاة والإيمان باسم يسوع، يمثّل بجانب الأهميّة اللاهوتية، علامةً واضحة للمؤمنين مقابل التعاليم المضلّلة والمزيّفة، تلك التعاليم التي كانت تنكر الله (١يو٢٢: ٢ – ٢٣).

فالاعتراف باسم المسيح يمثّل ضمان وعربون روح الله الذي يحصل عليه المعترفون به .. (١يو٣:٣٣) ولهم مسحة من القدوس (١يو٢:٣٠ ، ٣٦) وهذا الاعتراف باسم يسوع يميّز بين روح الله، والروح المضلّل الذي هو **ضد المسيح** (١يو٤:٢ – ٣).

ولمّا جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه

(غلاطية ٤ : ٤)

«أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة»:

نعود إلى هذه الفقرة من الآية التي بدأنا الكلام عنها في العدد السابق (كانون أوّل ٢٠١٥). تفيد هذه الفقرة إفادة واضحة أنَّ الابن كان موجودًا، سابقًا على إرساله: فالابن موجودٌ في حضن الآب قبل أن يُرسله لكي يُولَد من امرأة. وكَوْنه مولودًا من امرأة فحسب دون رجل، فهذه هي معجزة ميلاد المسيح، الميلاد البتولي من بتول، لأنه ابن الله الـ "مولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق" (قانون الإيمان).

أما عن بتولية العذراء مريم، فيؤكِّد تقليد الكنيسة العريق بتولية مريم الدائمة. فقد كانت مريم بكلِّيتها وَقفًا لإلهها، ولم يكن تكريسها واستعدادها مرتبطَيْن فقط بحدث التجسُّد، وقد اتضح ذلك من ردِّها على الملاك، رغم أنها كانت مخطوبة ليوسف: «كيف يكون هذا وأنا لستُ أعرف رجلًا؟» (لو ١: ٣٤)، هذا يدلُّ على اختيارها ودعوتها للتكريس الكامل الذي يُشير إلى دوام البتولية.

ثم إنَّ لا شيء يستطيع أن يملأ القديسة مريم بعد أن ملأها المسيح بتجسُّده منها. لأن بتوليتها الدائمة تعني أنها أخذت كل شيء من ابن الله الذي صار ابنها، ولن يشغلها شيءٌ آخر غير الابتهاج بالتأمُّل في نعمةٍ فائقة كهذه التي نالتها.

إن عقيدة البتولية الدائمة للعذراء القديسة مريم التقليدية، تنسجم انسجامًا كلِّيًّا مع دعوتها الفريدة المُكرسة تمامًا لخدمة الله، الممتلئة نعمة، المتجهة كلِّيًّا نحو ملكوت الله.

فالعذراء مريم في بتوليتها، علامة الخليقة المصطفاة والمُكرسة والممتلئة إلى كل ملء الله، التي لم تعُدْ تنتظر شيئًا غير الاكتمال النهائي في ملكوت الله، والذي تعيشه الآن بشكلٍ خفيٍّ ومُسْبَق؛ هي رمز الكنيسة المقدسة التي لا تنتظر ولا ترجو سوى عودة المسيح ومجيئه الثاني.

كتب القس شارل دريلانكور في منتصف القرن السابع عشر، صلاة جميلة وتأمُّلًا في سرِّ التجسُّد وولادة سيِّدنا ومُخلِّصنا يسوع المسيح جاء فيها:

["أيها الإله العظيم، إنك في قدرتك اللامتناهية وغير المُدرَكة، أخرجتَ من إنسان (آدم) أُم الأحياء (حواء)، بدون مُشاركة المرأة، بحسب غِنَى كنوز حكمتك التي لا تنضب، ورأيتَ مناسبًا أن تُكوِّن رئيس الحياة (يسوع) من جوهر امرأة، بدون تدخُّل رجل. لقد جَلَبتْ لنا امرأة ثمرة الموت، وها امرأة أخرى تُقدِّم لنا ثمرة الحياة والخلود. لقد أردتَ، يا إلهي، أن تولَد من عذراء، ومِن عذراء مخطوبة لتُكرِّم بالفعل ذاته، البتولية والزواج، وتُعطي الأُم القديسة سندًا وشاهدًا على براءتها.

وهنا، يا إلهي، كوَّنتَ آدم على صورتك ومثالك، من حفنة تراب، وألبسته البرارة والقداسة، ولكنك من الدم البتولي (غير الدنس) كوَّنتَ آدم الجديد، الذي هو صورتك الحية وسناء مجدك ورسم جوهرك"].

بتولية العذراء والبتولية في الكنيسة:

بتولية العذراء مريم هي من المنظور اليهودي أنها مُصطفاة ومختارة ومُكرَّسة للرب، لأنها حسب التقليد وُلِدَت بعد عُقم، فنَذَرها والداها للرب قبل أن تولَد، وعندما وُلِدَت قدَّموها للهيكل. إلاَّ أنها اختيرت وأُعدَّت منذ الأزل ليتجسَّد منها وبها ابن الله: «الروح القدس يحلُّ عليكِ، وقوة العَليِّ تُظلِّلُكِ» (لو ١: ٣٥)، وقَبِلَت هي هذا الاختيار بكامل إرادتها. وهكذا قَبِلَت ابن الله في تجسُّده في أحشائها وفي تأنُّسه، وأصبحت مسكن الله الممتلئ بمجد الله. هذا الحدث الفريد في تاريخ الخلاص أعطى مريم صفة التقديس. وبالرغم من أنها بشر كامل وخليقة كاملة، فهي "مُباركة في النساء". هنا تبدو بتولية مريم علامة التقديس والعُزلة والتسليم الكامل لله الذي يُمجِّد الله، ويُعلِن قوته وقدرته: «قوة العَليِّ تُظلِّلُكِ».

بتولية العذراء مريم، هي أيضًا دليل فقرها واتضاعها وانتظارها لله الذي يستطيع وحده أن يملأ الذين اختارهم. البتولية هي علامة تجرُّد وثقة كاملة بالله الذي يُغنينا، نحن الفقراء؛ وبالتالي هي دعوة إلى التأمُّل الذي يستطيع وحده أن يملأ الذين لا ينتظرون، ولا يشتهون شيئًا من العالم ومن الإنسان، ويطلبون كل شيء من الله.

فالبتولية هي غياب الحب البشري الذي يلد بشرًا إلى الحياة، بحسب النظام الطبيعي. لذلك اختار الله عذراءَ بتولًا ليُولَد منها المسيح: «الروح القدس يحلُّ عليكِ، وقوة العَليِّ تُظلِّلُكِ، فلذلك أيضًا القدوس المولود منكِ يُدعَى ابنَ الله» (لو ١: ٣٥). فهو «ليس من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله» (يو ١: ١٣). فالقديسة مريم بتول ليَثْبُت أنَّ الله الآب هو الذي منه المسيح ''ابن الله'' و''ابن العَليِّ''، وأنَّ المُخلِّص ليس إنسانًا متفوقًا. ''ليس من دمٍ''، يعني ليس من وراثة بشرية، ''ولا من مشيئة رجل''، ولا من سُلالة خليقة خاطئة.

بتولية العذراء مريم، إذًا، هي علامة فقر الإنسان وعجزه عن تحقيق خلاصه، وعن حاجة الإنسان الماسة إلى التدبير الإلهي لإيجاد مُخلِّص بلا خطيئة، قادر أن يُخلِّصه. وهكذا جاء المسيح بلا زرع بشر مولودًا من امرأة لم تعرف رجلًا، ولم تعرف حُبًّا غير حب الله. فهي وحدها مع الله الذي نذرت نفسها له، ولن تحب سواه إلَّا من خلاله، فهو ربها وفرحها وانتظارها وحاميها ومُقدِّسها. وهكذا أهَّلتها بتوليتها إلى أن يحلَّ في أحشائها ابن الله الذي تجسَّد منها بالروح القدس. وولدته مُخلِّصًا للعالم، وابنًا لله وابنًا للإنسان.

وهكذا فبتولية العذراء مريم هي رمز للبتولية في الكنيسة، وهي أُمٌّ لكل البتوليين. وقد ذُكِرَ في الإنجيل في مواضع كثيرة أنَّ العفة والبتولية مرتبطَتان بمجيء الملكوت:

✝ فقد قال الرب يسوع لتلاميذه: «يوجد خصيان خَصَوْا أنفسهم لأجل ملكوت السموات» (مت ١٩: ١٢)، وأيضًا: «كل مَن ترك بيوتًا أو إخوة أو أخوات أو أبًا أو أُمًّا أو امرأة أو أولادًا أو حقولًا من أجل اسمي، يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية» (مت ١٩: ٢٩؛ مر ١٠: ٢٩؛ لو ١٨: ٢٩).

✝ ويقول بولس الرسول: «غير المتزوِّج يهتم في ما للرب كيف يُرضي الرب، وأمَّا المتزوِّج فيهتم في ما للعالم كيف يُرضي امرأته» (١كو ٧: ٣٢،٣٣).

فالبتولية في الكنيسة لها أساس إنجيلي، وهذه هي الدعوة الرهبانية. وعندما يلتزم الراهب بعفته في البتولية، فإنه يُدعَى لأن يصبح فقيرًا، فبتوليته هي علامة فقره وحرمانه البشريَّيْن، وهي دعوة إلى حب الله من كل القلب، ومن كل النفس، ومن كل القدرة. فالبتولية تجمع الإنسان بكل طاقته، نفسًا وجسدًا في حب الله. ولا يمكن أن نُدرك ذلك إلَّا إذا اقتنينا في داخلنا المسكنة بالروح، وافتقرنا إلى الله، وأنكرنا ذواتنا، وتخلَّينا عن كل معونة بشرية. فالفقر شرطٌ لحريتنا الداخلية، واعتمادنا الكُلِّي على الله، كما يقول المُرنِّم: «صرتُ كبهيمٍ عندك، ولكني دائمًا معك. أمسكتَ بيدي اليُمنى، برأيك تهديني، وبعدُ إلى مجد تأخذني. مَن لي في السماء، ومعك لا أُريد شيئًا على الأرض» (مز ٧٢: ٢٢-٢٥).

والواقع أنَّ الفقر الحقيقي عاشته جماعة المسيحيين في عهد الرسل، فلم يكن لأحد شيء خاص به، بل كان كل شيء بينهم مشتركًا. وهكذا بدأت الرهبنة في القرون الأولى.

بعد البتولية والفقر، هناك الطاعة لكي يكتمل المثلث الروحي للرهبنة. فالطاعة هي فضيلة التزام الحياة كلها، فضيلة دخول الراهب في الحياة الإلهية، ودخول الله في حياة الراهب؛ هي التمثُّل بالعذراء في قولها: «هوذا أنا أَمَة الرب. ليكُن لي كقولك». فعَلَى الراهب أن يتخلَّى عن مشيئته، عن جذور أنانيته، أي عن إرادته البشرية في اختلافها عن إرادة الله، لكي يُعيدها إلى الإرادة الإلهية، ويُقيمها فيها على الدوام. الطاعة الرهبانية لا تهدم الإرادة البشرية؛ بل تُعيدها لأصلها، لطريقها في الفردوس قبل السقوط. فهي الانفتاح الكُلِّي النهائي لصوت المسيح، وعدم السماح لحريتنا وإرادتنا بالانغلاق على ذاتها من جديد.

«أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة، مولودًا تحت الناموس»:

بما أنَّ المسيح الإله قد وُلد من امرأة يهودية خاضعة للناموس، فلابد أن يكون المولود منها تحت الناموس. وكان أول فرض في الناموس هو الختان، وهكذا «لما تمَّت ثمانية أيام ليختنوا الصبي، سُمِّيَ يسوع كما تسمَّى من الملاك قبل أن حُبِلَ به في البطن» (لو ٢: ٢١). وكذلك «لمَّا تمَّت أيام تطهيرها، حسب شريعة موسى، صعدوا به إلى أُورشليم ليُقدِّموه للرب، كما هو مكتوبٌ في ناموس الرب: أنَّ كلَّ ذَكَر فاتح رَحِم يُدعَى قُدُّوسًا للرب. ولكي يُقدِّموا ذبيحةً كما قيل في ناموس الرب، زوج يمام أو فَرْخَيْ حمام» (لو ٢: ٢٢-٢٤).

ويذكر القديس لوقا الإنجيلي أنهم «لمَّا أكملوا كل شيء حسب ناموس الرب، رجعوا إلى الجليل إلى مدينتهم الناصرة» (لو ٢: ٣٩). كما ذَكَرَ أيضًا أن يسوع كان يذهب مع أُمِّه والقديس يوسف النجَّار، خطيب العذراء وحارس

السرّ الإلهي، كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح، حسب ما أُوصِيَ به في الناموس.

فقد كان الرب خاضعًا لكل ما أَوصى به الناموس. ولكن لم يكن للناموس أية سيادة عليه، لأنه كان بلا خطيئة قط: «مَن منكم يُبكِّتني على خطيئة» (يو ٨: ٤٦). ورغم أنه أعلن للشعب أنه لم يأتِ لينقض الناموس أو الأنبياء قائلًا: «ما جئتُ لأَنقض بل لأُكمِّل» (مت ٥: ١٧)؛ إلاَّ أنه كان يُعلِّم أنَّ الناموس (وحِفظ السبت) إنما جُعِلَ لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت (الناموس): «إذًا ابن الإنسان هو ربُّ السبت أيضًا» (مر٢: ٢٨).

ويُعلِّق القديس بولس الرسول على ذلك قائلًا: «فلماذا الناموس؟ قد زِيدَ بسبب التعدِّيات» (غل٣:١٩)، كما قال أيضًا: «لم أعرف الخطيئة إلَّا بالناموس. فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقُل الناموس ''لا تَشْتَهِ''»(رو٧:٧)، «إذًا قد كان الناموس مؤدِّبنا إلى المسيح، لكي نتبرَّر بالإيمان. ولكن بعدما جاء الإيمان، لسنا بعدُ تحت مُؤدِّب» (غل ٣: ٢٤،٢٥).

فالمسيح جاء تحت الناموس، وإذ كان بلا خطيئة، فقد صار فوق الناموس، ليرفع الذين آمنوا به ويجعلهم فوق الناموس. فالناموس أُعطِيَ لكي يكشف الخطيئة ويفضحها، ومع أنَّ المسيح بلا خطيئة، فقد قَبِلَ أن يُولَد تحت عبودية الناموس، ليُحرِّر كل الذين تحت عبودية الناموس، وذلك ''بحَمْله هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبِرِّ'' (١بط٢:٢٤)، «إذ محا الصَّكَّ الذي علينا في الفرائض (الناموس)، الذي كان ضدًّا لنا، وقد رفعه من الوسط مُسمِّرًا إيَّاه بالصليب» (كو٢:١٤)، «لأنه هو سلامنا، الذي جعل الاثنين واحدًا، ونَقَضَ حائط السياج المتوسط، أي العداوة. مُبطِلًا بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا، صانعًا سلامًا، ويُصالِح الاثنين في جسدٍ واحد مع الله بالصليب، قاتلًا العداوة به» (أف ٢: ١٤-١٦). وهذا هو السبب الذي لأجله قَبِلَ المسيح أن يولَد من امرأة تحت الناموس.

«ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبنِّي»:

أصل كلمة ''يفتدي'' تعني في اليونانية: ''يشتري لحسابه''. فالمسيح اشترانا لنفسه بتقديم نفسه وجسده ذبيحةً على الصليب، إذ مزَّق صكَّ الديون كلها، الذي كان علينا في فرائض الناموس الذي كان ضدًا لنا، مُسمِّرًا إيَّاه على الصليب (انظر كو ٢: ١٤).

لذلك يقول بولس الرسول أيضًا: «لأنكم قد اشتُريتُم بثمنٍ. فمجِّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (١كو ٢: ٢٠). كما قال أيضًا: «لأن محبة المسيح تحصُرنا. إذ نحن نَحْسِبُ هذا: أنه إنْ كان واحدٌ قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذًا ماتوا. وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم، بل للذي مات لأجلهم وقام» (٢كو ٥: ١٤،١٥).

وفي هذا يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**:

[لقد انعتقنا من العقاب، ونفضنا عنَّا كل شرٍّ. لقد وُلدنا جديدًا من فوق (يو ٣: ٣)، وقمنا ثانيةً من بعد أن دُفِنَ إنساننا العتيق. لقد افتُدينا، وتقدَّسنا، ونلنا التبنِّي. لقد تبررنا، وصرنا إخوةً للابن الوحيد! صرنا شركاء معه في الميراث، وشركاء في الجسد، بل وصرنا جسده، وكمثل اتحاد الجسد بالرأس؛ هكذا اتحدنا نحن به. وهذا كله هو ما يدعوه القديس بولس «فيض النعمة» (رو ٥: ١٧)، مُبيِّنًا أننا نلنا، ليس فقط دواءً مناسبًا لجُرحنا، بل وصحةً وجمالًا وكرامةً ومجدًا واستحقاقًا، بما يفوق بكثير طبيعتنا...

فإنَّ المسيح قد دفع أكثر بكثير مِمَّا كنَّا مدينين به، كمثل ما تفوق مياه المحيط اللانهائي قطرة ماء صغيرة].

فالمسيح المبارك الى الأبد افتدانا جميعًا من موت الخطيئة بموته هو لأجلنا على الصليب، افتدى الذين كانوا واقعين تحت عبودية الناموس، ونحن الأُمم أيضًا الذين كنَّا بلا ناموس مذلولين تحت عبودية إبليس؛ اشترانا كلنا بدمه وحرَّرنا ووهبنا نعمة التبنِّي: «أمَّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه. الذين وُلدوا ليس من دمٍ، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله» (يو ١: ١٢،١٣).

فالفداء الذي أكمله لنا الابن، كان لتحضيرنا لنحصل على التبنِّي من الآب، لنصير أبناء لله في ابنه الحقيقي الوحيد الجنس. لأن الله أحبنا محبة أبدية حتى قبل أن يفدينا، وهذا الحب لم يهدأ ولم يتوقف حتى وهبنا التبنِّي بالفداء لنصير ورثة الحب الإلهي: «ثم بما أنكم أبناء، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخًا: ''يا أَبَا الآب''. إذًا لستَ بعدُ عبدًا بل ابنًا، وإنْ كنتَ ابناً فوارث لله بالمسيح» (غل ٤: ٦،٧).

وهكذا بالتبنِّي صار لنا كل ما هو للابن عند الآب حتى وإلى الميراث!!

ويقول الأب متى المسكين مُعلِّقًا:

[على أنَّ اتحادنا بالابن على مستوى القيامة من بين الأموات، هو الذي وهبنا الروح القدس، وهو الذي يشهد لأرواحنا أننا صرنا أولاد الله بالقيامة من بين الأموات، وهو الذي يُحقِّق أُبوَّة الله لنا كلما رفعنا صلاة باسمه، لأنه هو الذي يصرخ في الصلاة بفمنا وروحنا نحو الله قائلاً: ''يا أَبَا الآب''. ومناداتُنا الله بالقول:''يا أَبا''، هو دخول في الحضرة الإلهية بدالة البنين، مع إحساس بحضور الله بآنٍ واحد. وهذه أعظم عطية نلناها لندخل بها إلى الله كل حين، ولنا في الابن وجودٌ، وبالروح القدس دالّةٌ!]

عظيمٌ هو سرّ التقوى الله ظهر بالجسد

كان القديس أنطونيوس يومًا جالسًا في قلايته فأتى عليه بغتةً روحُ صِغَرِ نَفْسٍ ومللٌ وحَيْرةٌ عظيمةٌ، وضاق صدرُه، فبدأ يشكو إلى الله ويقول: ''يا ربُّ إني أحبُّ أن أَخْلُصَ لكنَّ الأفكار لا تتركُني، فماذا أصنع؟''. وقام من موضعه وانتقل إلى مكانٍ آخر وجلس. وإذا برجلٍ جالسٍ أمامه وعليه اسطوانةٌ ومتوشِّحٌ بزنَّارٍ صليبٍ مثال الإسكيم، وعلى رأسه كوكلس(غطاء الرأس) شبه الخُوذة، وكان جالسًا يُضفِّر الخوص. وإذا بذلك الرجل يتوقَّف عن عمله ويقفُ ليُصلِّي. وبعد ذلك جلس يُضفِّرُ الخوصَ، ثم قام مرةً ثانيةً ليُصلِّي، ثم جلس ليشتغلَ في ضفر الخوص، وهكذا... أمَّا ذلك الرجل فقد كان ملاكَ اللهِ أُرسِلَ لعزاءِ القديس وتقويته؛ إذ قال لأنطونيوس: ''اعْملْ هكذا وأنت تستريح''. ومن ذلك الوقت، اتَّخذ أنطونيوس لنفسه ذلك الزِّيَّ الذي هو شكلُ الرهبنة، وصار يُصلِّي ثم يشتغل في ضفر الخوص. وبذلك لم يَعُد الملالُ يُضايقه بشدَّةٍ. فاستراح بقوة الرب يسوع المسيح الذي له المجد للأبد آمين.

الراهب وعمل اليدين:

✝ كان الرهبان يعملون حتى في شيخوختهم، فقد انطلق الأب مقاريوس مرةً من الإسقيط حاملًا زنابيل فأُعْيِيَ من شدة التعب، ووضع الزنابيل على الأرض وصلَّى قائلًا: ''يا ربُّ، أنت تعلمُ أنه ما بَقِيَ فيَّ قوةٌ، وإذ به يجدُ نفسه على شاطئ النهر''.

✝ وقال أنبا بيمين: ''إنَّ أنبا إيسيذوروس كان يُضَفِّرُ في كلِّ ليلةٍ حزمةَ خوصٍ. فسأله الإخوة قائلين: "أيها الأب، أَرِح نفسَك لأنك قد شختَ". فأجابهم: "لو أحرقوا إيسيذوروس بالنار وذَرَّوْا رمادَه، فلن يكون لي فضلٌ، لأن ابن الله من أجلي نزل إلى الأرض"''.

✝ وقيل عن الأب بموا أيضا لمَّا حضرته الوفاة، أنْ سأله الآباءُ قائلين: ''قل لنا كلمةً''. فقال: ''إني منذ دخولي هذه البرية وبنائي القلاية وسكناي فيها، ما انقضى عليَّ يومٌ واحدٌ بدون عمل، ولا أتذكَّر أني أكلتُ خبزًا من إنسانٍ، وإلى هذه الساعة ما ندمتُ على لفظٍ واحد تلفَّظتُ به. وها أنا منطلقٌ إلى الربِّ كأني ما بدأتُ بشيءٍ يُرضيه بعد''.

كيف يؤدِّي الراهب العمل ويُتمِّم صلواته؟

✝ قيل: إنه حضر إلى الأب لوقيوس رهبانٌ من أولئك الذين يُدعَون مُصلِّين (بدعة ظهرت في سوريا، كانت تنادي بعدم عمل الرهبان، ويعتبرونه مُعطلًا عن الصلاة الدائمة)، فسألهم عن عمل أيديهم، فقالوا له: ''نحن لا نهتمُّ بعمل اليدين، إنما نهتمُّ بالصلاةِ الدائمة، كقولِ الرسول''. فقال لهم الشيخ: ''أَمَا تأكلون وتنامون؟''. قالوا: ''نعم''. فقال لهم: ''فإذا ما جلستم تأكلون أو إذا نمتم، فمَن يُصلِّي عنكم؟''. فلم يكن لهم ما يُجيبونه به. فقال لهم: ''اغفروا لي، فإن عملكم ليس كقولكم، لكني أُريكم كيف أني أمارسُ عملَ يديَّ وأُصلِّي دائمًا. وذلك بأن أجلس، بعون الله، وأَبُلَّ خوصًا وأُضفِّرَ الضفيرة، وأقول: "ارحمني يا الله كعظيم رحمتك، وككثرة رأفاتك امْحُ إثمي". أفما يُعتبَر ذلك صلاةً؟''. أجابوه: ''نعم''.

قال لهم: ''وإذا مكثتُ هكذا طولَ النهار أعمل وأُصلِّي، فيكون لي عن عملي كل يومٍ ستة عشر فَلْسًا، فأُعطي منها على الباب فَلسين (ليأخذها الفقير)، وآكل بالباقي. فيصبح آخذُ الفَلسين مُصلِّيًا عني في وقت أكلي وفي وقت نومي، وبنعمة الله تَكمُل لي الصلاة الدائمة، كأمر الرسول. وإذ أُمارس عملي، فبذلك أَقهر شيطانَ الملل والشهوة. لأن الملل يؤدِّي إلى البطالة، والشهوةُ كائنةٌ في البطالة. والطريق التي سلَّمها لنا جماعةُ الآباءِ هي هذه: "إنه يلزمُنا أن نشتغل بأيدينا ونصوم طول النهار، ونقتني صمت اللسان، ونبكي على خطايانا"''.

✝ زار أحدُ الإخوة الأب سلوانس في جبل سيناء. فلما رأى الإخوةَ مُنكبِّين على العمل، قال للشيخ: ''لا تعملوا للطعام البائد أيها الأب، لأن مريم اختارت لها الحظَّ الصالح''. فقال الشيخُ لتلميذه: ''أَعطِ الأخَ مُصحفًا (أي إنجيلًا) وأَدخِلْه في قلايةٍ فارغة''، ففعل. فلما حانت ساعةُ الأكل، بَقِيَ الأخُ منتظرًا على الباب، مُترقِّبًا وصول مَن يسألُه المجيءَ إلى المائدة. فلما لم يَدْعُهُ أحدٌ، نهض وجاء إلى الشيخ، وقال له: ''أَمَا أكل الإخوةُ اليوم يا أبانا؟''. فأجابه: ''نعم''. فقال له: ''ولماذا لم تَدْعُني للأكل معهم؟''. فأجابه الشيخ: ''ذلك لأنك رجلٌ روحانيٌّ، لستَ في حاجةٍ إلى طعامٍ، وأمَّا نحن فجسديون نحتاجُ إلى طعامٍ، ولذلك نمارسُ الأعمالَ. أمَّا أنت فقد اخترتَ النصيبَ الصالح، تقرأُ النهارَ كلَّه، ولا تحتاج إلى أن تأكل طعاماً''. فلما سمع الأخُ هذا الكلام، خرَّ ساجدًا، وقال: ''اغفر لي يا أبانا''. فأجابه الشيخ: ''لا شكَّ أن مريمَ تحتاجُ إلى مرثا، لأن مريمَ بمرثا مُدِحَت''.

✝ قال أحدُ الآباءِ: ''اهتم بعمل يديك ومارِسْه إنْ أمكنك ليلًا ونهارًا، لكي لا تُثقِّل على أحدٍ، وحتى يكون لك ما تُعطي المسكين، حسب ما يأمر به الرسول، ولكي ما تصرع شيطانَ الضجر، وتُزيل من نفسك بقية الشهوات، لأن شيطان الضجر منكبٌّ على البطالة وهو في الشهوات كامنٌ''.

✝ قال القديس نيلوس: ''إنَّ البطالة هي مصدر رداءة الأعمال، لا سيَّما من أولئك الذين قد عَدِموا الأب (الروحي). لأن اليهود لمَّا لم يكن لهم في البرية عملٌ يشتغلون به، خرجوا من البطالة إلى عبادة الأوثان. فعلينا ألاَّ نُفارِق عمل اليدين، لأنه نافعٌ جدًّا ومُهذِّبٌ''.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي أسقف المدن الخمس

الفصل الثالث

«كنت في دعة فهشّمني. أخذ بقفاي فحَطّمني ونصبني هدفًا له. تكتنفني سهامه. يشق بها كُلْيَتَيّ ويُرِيقُ مرارتي على الأرض. تُثخِنُني جراحه على جراحه ويهجم عَلَيَّ هجوم الجبّار. لقد لفقت على جلدي مسحًا ومرّغت في التراب قرني. كوى البكاء خدّي وَغَشِيَتْ جفني ظِلالُ الموت. على أن يديّ لا جور فيهما وعبادتي زكية» (أيوب ١٦ :١٢-١٨) .

«فقال له نيقوديمُس كيف يمكن أن يولد إنسان وهو شيخ؟ ألعلّه يقدر أن يدخل جوف أمّه ثانية ويولد؟» (يو٣:٤).

كان ذلك في إحدى أمسيات شهر أيار. المدينة الشرقية الكبيرة غارقة في الحرّ. لقد أخرج الأوروبيون ملابسهم البيضاء وخوذاتهم، ولبس الجنود الإنكليز سراويلهم القصيرة وحملوا هراواتهم. والبلد يعج بحركة واسعة تستهدف إنشاء مخازن جديدة، مطاعم ومقاهٍ. وحدها الأحياء العربية بقيت غارقة في الجمود والفقر المزري، والجهل، والأمراض، والذباب...

وكان نكتاريوس من جديد في غرفته المتواضعة، جالسًا أمام مكتبه، تحت المصلوب. يحدّد مسؤولياته أمام الله والناس، ويحضّر مخطّطاته للمستقبل. كانوا يتكلّمون عنه بكثرة: مواطنوه والكاثوليك، وحتى البروتستانت يناقشون بعضًا من مزاياه التي يعتبرها هو مجرّد واجبات على الكاهن الراهب، وخصوصًا على ممثل البطريركية. آه، كيف يمكنه أن يحفظ هذا القطيع، فلا «ينزع أحد منه إكليله» ؟ انه لم يقُم حتى الآن بأيّ عمل هام. عندما سيم كاهنًا كان يبتغي أن يوسّع نطاق عمله ليشمل ٱلاهتمام بأولئك ٱلمساكين، سكان البلد الأصليين، أولاد آدم هم أيضًا. ولقد امتدت أحلامه ورغبته بالعطاء إلى اللانهاية ...

في جميع ٱلأحوال، عليه أن يتوصّل على ٱلأقل إلى إحصاءٍ شامل لجميع ٱلأرثوذكسيين ٱلموجودين في منطقته. يجب أن يجد ٱلوقت ٱلكافي لزيارة الأشخاص المتعبين والضعيفي الإيمان، حتى ولو ٱقتضَى ٱلأمر أن يكون ذلك على حساب ساعات نومه. يجب أن يظهر كنز ٱلأرثوذكسيّة، هذه ٱلماسة ٱلقيّمة، ليلمع ويجتذب. يجب أن تفهم كل نفس ما تدين به للمسيح ٱلمصلوب، الكلمة ٱلكلّي ٱلقداسة الذي قام من بين ٱلأموات حقًا، ابن ٱلله ٱلحيّ. وتمتمت شفتاه:

– «ليكن كل شيء حسب مشيئتك يا رب، لا حسب مشيئتي ٱلباطلة، ٱلتافهة».

منذ قليل، خلال صلاة الغروب، كان يصلّي من كل قلبه حتى يطول عمر أبيه الروحاني البطريرك صفرونيوس، ويبقى بصحة جيّدة، ذلك الشيخ النبيل، الذي ساعده على إتمام دروسه، ثم رفعه إلى رتبة متروبوليت. كم كان طيّبًا معه في الحقيقة ... كما صلّى لراحة نفس جان خوريميس، الذي كان المُحسن الأوّل إليه، فأرسله من جزيرة خيوس العطرة ليدرس في أثينا. كما صلّى لجميع أهله وإخوته وجدّته الحبيبة «الراقدة منذ سنين»، والتي كانت أوّل من علّمه المزامير والصلوات البسيطة، واعطته سلاحًا لا مثيل له ضدّ الشياطين: صليبًا صغيرًا من خشب الصليب المقدّس.

وفجأة وفي وسط انشغالاته وتحضيراته للمخططات المستقبليّة وذكرياته، سمع طَرقًا على الباب. فقال في نفسه: لا بد انه جالينوس. لكنه كان على خطأ، إذ رأى في الباب شماسًا طويل القامة بدينًا. أين

رآه قبل الآن؟ ... أجل، في مكان ما في الإسكندرية، وبالتحديد في كاتدرائية القديس سابا البطريركية.

– «بارك يا سيّد» ... تمتم الشماس بطرف شفتيه، وصنع مطانية صغيرة روتينية. ثم وضع على مكتب نكتاريوس مغلّفًا طويلًا يحمل ختم البطريرك.

– «إقرأ الرسالة بسرعة. و...لا تُعَذِّب نفسك بالذهاب إلى هناك»، قال الشماس دفعة واحدة، وكأنه حَفِظَ هذه الجملة عن ظهر قلب. «فانّ البطريرك متوعّك ولن يستطيع استقبالك».

فسأل نكتاريوس بهدوء:

– من أين تأتي؟

– من عند قداسته.

– وماذا تراه يريد منّي؟ هل انتَ على علمٍ بالأمر؟

– لا اعرف، إقرأ بنفسك.

ففتح نكتاريوس المغلّف ببطء وقرأ:

« ...لقد عُلِّقَت مهام نكتاريوس، أسقف المدن الخمس، فيما يختص بإدارة مكتب بطريركيّة القاهرة. وكذلك في التمثيل البطريركي والإدارة الإكليريكية. وقد سُمِحَ لقداسته بالمكوث في بطريركيّة القاهرة إذا شاء متابعة دروسه وكتاباته والمحافظة على شركته مع الكهنة. كما يُسمح لقداسته بإقامة أسرار الزواج والعُمَّاد والدفن، والصلوات لراحة نفوس القديسين. لكنه ممنوع من التنقّل رسميًا، ولأيّ سبب كان، إن في الريف أو في القاهرة القديمة، من دون الحصول على الموافقة الرسميّة»

القاهرة ١٨٩٠/٥/٣

صفرونيوس بطريرك الإسكندرية

فارتجفت يداه وتحوّلت عيناه المعبّرتان إلى بحيرتين عَكِرَتَين. وتمتم:

– لماذا ؟

– «لا تُعَذِّب نفسك بالانتقال لرؤية قداسته لأنه لن يستقبلك»، أجاب الشماس بطريقةٍ آليّة، وبوجهٍ عابس وكثير الغموض.

– «ولكن لماذا؟» أعاد نكتاريوس السؤال.

– من يعرف؟ ... لماذا لم تكلّف نفسك يومًا عناء اكتساب وُدِّ بعض المناصرين لك هناك؟...» قال الشماس بطرف شفتيه، وهو يمسح الغبار عن جُبَّته.

– «**إنّ الحسد** ..» نطقت شفتا نكتاريوس بصعوبة ... لكن ما هو السبب؟

– «لو ذهبت إليه فلن يستقبلك. انه متوعّك على أية حال.»

– «حسنًا يا بني. اذهَب بمباركة السيدة العذراء، واحرص على ألّا تسيء يومًا إلى المصلوب».

وما ان انصرف الضيف المزعج صافقًا الباب وراءه، حتى وضع نكتاريوس القرار البطريركي على مكتبه الصغير وجمد في مكانه مستسلمًا للبكاء. وتمتم:

–« والآن؟ ... اهكذا يَأْخُذُ القرار دون سبب، دون أن يستدعيني، دون أن يقوم بتحقيقٍ؟ دون مقابلة، دون أن يسمح لي بالدفاع عن نفسي؟... هل قمت بعمل في غير محلّه دون علمٍ مني؟ يبدو أن أحدهم نبّهني بأني أجبت بكلمة «شكرًا» على تمنيات الذين استضافوني في ذلك اللقاء ... غريب! هذا مَحْضُ خَيالٍ».

ثمّ انتصَب وصَرخ:

– « أُجِلُّ صفرونيوس وأحبّه ولن أنسى ما حَيِيْتُ كل ما فعله من أجلي».

ووضع يده على قلبه وشعر بيأسٍ شديد. وكَأنَّ سهمًا مسمومًا اخترقه من جهة إلى أخرى. ثم بدأ يرتعش وقد ارتفعت حرارته، وطفق يقول بحزن: **والآن ماذا أفعل ؟**

وأحَسَّ بعرقٍ بارد يتصبّب منه، وبأن قواه تفارقه. فخاف وأوشك أن يقع أرضًا. وفي تلك اللحظة حين وصلت النوبة إلى قمّتها، وقعت عيناه المليئتان بالدموع على المصلوب، فانفجر بالبكاء.

وعندها حصل أمرٌ غير متوقع: فكأنه تلقّى في لحظة واحدة الدّواء الإلهي. فسكن تنهّده، وهدأ. وأحسَّ انه بحالٍ أفضل. فمسح عينيه، وارتسمت على وجهه البريء الهادىء ابتسامة طفيفة.

– «هذه هي التجربة إذن !» ... تمتم بهدوء. «إنها تحصل هكذا، دون سابق إنذار، كهجوم القراصنة. لتكن مشئتك يا رب ... وليكن ما ترغب به أنت».

وطارت به الذاكرة، خفيفة كالعصفور، لتحطّ على المقطع الثاني من رسالة البطريرك: «وقد سُمِحَ له ... إذا شاء ... في غرفته، لمتابعة دروسه وكتاباته ...» فقال في نفسه: "**صبرًا**" .

وتذكّر في تلك اللحظة **القديس اقليمنضس الإسكندري** الذي كان يقول: « إنّ الصبر هو نجمة النُسّاك المبلّلة بالدموع». فقال: «حتى ولو ذللت في عيون الناس ... فسأصبر ... لأنّ ذلك لا أهمية له ...» وراح يردّد في نفسه هذا الكلام مرّاتٍ ومرّات. **(يتبع)**

توبوا فقد اقترب ملكوت الله

بادِر إلى التَّوْبَةِ الخلصاءِ مجتهدًا
والموتُ وَيْحَكَ لم يَمْدُد إليكَ يَدَا
وَارْقُبْ مِنَ اللهِ وَعْدًا ليسَ مُخْلِفُهُ
لا بُدَّ للهِ من إنجازِ ما وَعَدَا

معمودية المسيح
عند القديس يوحنا الذهبي الفم

مقدمة:

حينما نرجع إلى ما كتبه الإنجيليون عن معمودية المسيح من يد القديس يوحنا المعمدان، نرى هناك اتفاقًا على الملامح العامة لهذه الواقعة الإنجيلية، وهي: مجيء المسيح إليها كواحد من أفراد الشعب، انفتاح السموات عند صعوده من الأردن، نزول الروح القدس عليه بهيئة حمامة، مع شهادة الآب من السماء بصوت مسموع عن مسرَّته، بابنه الوحيد الذي أطاع وخضع للمشورة الأزلية لخلاص جنس البشر.

ولكن القديس لوقا في إنجيله زاد فذكر صلاة المسيح عقب معموديته، بينما يُسجِّل القديس متى البشير حوارًا دار بين المسيح وبين يوحنا المعمدان قبل النزول إلى مياه الأردن. ولا شكَّ أن لهذا الحوار أهمية لاهوتية، بسبب العبارة العميقة ذات المغزى والتي خَتَم بها المسيح الحوار: «هكذا يليق بنا أن نُكمِّل كل بِرٍّ» (مت ٣: ١٥)، لأنها تشرح علاقته بالبر الذي عجز الإنسان عن تكميله، فاستحق لعنة الناموس، ولكن الابن الذي لَبِسَ طبيعتنا أكمله عنا، فاستحق رضا الآب ومسرَّته، وصار سبب تبرير لكل مَن يؤمن به كقول بولس المغبوط: «أما الآن فقد ظهر بِرُّ الله، بدون الناموس، مشهودًا له من الناموس والأنبياء، بِرُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح، إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون» (رو ٣: ٢١-٢٢).

الحقيقة الأولى لدى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن معمودية المسيح وما تحمله من تنازُل واتضاع ودِعَة، هي امتدادٌ لتجسُّده:

[السيِّد مع العبيد، والديَّان مع الأَثَمَة؛ هكذا جاء ليعتمد. ولكن بهذا الاتضاع تضيء عظمته. فالذي أجاز لنفسه أن يُحمَل به في بطن عذراء ويُولَد بطبيعتنا، وأن يُضرَب بالعصا ويُصلَب، وأن يحتمل كل ما تألَّم به؛ لماذا تتعجَّب، إذن، عندما تراه يتعطَّف ويأتي مع الباقين ليعتمد من خادمه؟!... لك أن تندهل من أمر واحد: إنه وهو الإله قد صار إنسانًا. وما بعد ذلك يتمشَّى مع المنطق].

تواضُعه لم يُخفِ حقيقته:

[... دعوني أُضيف أيضًا، أن يوحنا سبق الزمن وتكلَّم كثيرًا عن المسيح (قبل أن يراه)، وكيف أنه ليس أهلًا أن يحلَّ سيور حذائه، وأنه سيأتي ليُجازي كل واحد بحسب أعماله، وأنه سيهب الروح القدس بغزارة وغِنَى. كل ما قاله مُسْبقًا حتى لا ترتاب عندما تراه آتيًا ليعتمد... ولما رأى يسوع قادمًا إليه امتنع قائلًا: «أنا محتاجٌ أن أعتمد منك وأنت تأتي إليَّ»؟ لأن يوحنا كان يُعمِّد "للتوبة"، أي يقود الناس ليدينوا أنفسهم على تعدِّياتهم. فلئلا يظن أحد أن يسوع جاء إلى الأردن بنفس هذه الفكرة ، منعه من أن يعتمد].

جواب المسيح على امتناع يوحنا المعمدان:

[... ماذا فعل المسيح؟ تمامًا مثلما فعل مع بطرس فيما بعد، لما رفض أن يغسل المسيح قدميه. فلما أجابه يسوع: «لستَ تعلم الآن ما أنا أصنع، ولكنك ستفهم فيما بعد... إن كنتُ لا أغسلك فليس لك معي نصيب» (يو ١٣: ٧-٨)، وفي الحال تنازل بطرس عن تصميمه، وهكذا هنا، فورًا أطاع يوحنا المعمدان].

هذا الربط المدهش بين الإصرار على قبول المعمودية من يد الأصغر والأقل، وبين التصميم على غسل أرجل التلاميذ "يكشف عن مدى أهمية وخطورة ممارسة سرّ الاتضاع، والخضوع في الخدمة والكهنوت، والحياة المسيحية عامة كمدخل أساسي للبِرِّ". ومن جهة أخرى "طاعة وخضوع يوحنا لأمر الرب، وقيامه بالتعميد سهَّل على المسيح أن يُمارس من داخل طقس سرِّ العماد، سر الانحناء وسر الاتضاع المذهل الذي أسماه "سر تكميل البِرِّ". هنا في الأردن – كما حدث عند غسيل الأرجل – يُمارس السيد خضوعه كعبد تحت يد يوحنا، وذلك ليزيل العار عن الإنسان الذي رفض الخضوع تحت يد الله".

«هكذا يليق بنا أن نكمِّل كل بر»:

[... ما هذا الذي كان يليق بالمسيح أن يُكمِّله كله؟ أي يكمل الناموس كله، لأن البِرَّ هو تكميل الوصايا. وكأن المسيح يقول: "حيث إننا كمَّلنا كل شيء خلا هذه وحدها (أي المعمودية) فينبغي أن نُمارسها، لأنني جئتُ لأرفع اللعنة التي وضعها الناموس على كل مَن يتعدَّاه. لذلك ينبغي أولًا أن أُكمِّل كل شيء حتى أُخلِّصكم من حُكْم الناموس، وبهذا أَنْهى عليه... هذا هو هدف تجسُّدي ومجيئي إلى هنا"].

فتكميل البِرِّ، عند الذهبي الفم، يعني تتميم وصايا الناموس التي عجز عنها الإنسان، فاستحق اللعنة. ويمكن الاتساع بدائرة البِرِّ، والامتداد

به إلى طاعة المسيح للبِرِّ المُعلَن من السماء لكل مَن يقبل معمودية يوحنا: ”فالخاطئ المنسحق إذ يعتبرها من السماء يتبرَّر بها كفعل توبة واغتسال. والبارُّ إذ يعتبرها من السماء، بإطاعتها، يُحقِّق برَّه وَيُكمِلُه... فالمسيح بمجيئه إلى الأردن كان يدفعه اتضاعه وخضوعه لدعوة سماوية لائقة: «معمودية يوحنا من أين كانت؟ من السماء أم من الناس؟» (مت ٢١: ٢٥). لأنه كان محصورًا منذ صَبُوَتِهِ المبكِّرة، منذ أن كان ابن اثنتي عشرة سنة، في شعور غامر بأنه ينبغي أن يكون دائمًا فيما لأبيه. ولقد سبق فوجد في طاعته "لأبويه" وخضوعه لهما تكميلًا ضمنيًا لِبِرِّ الناموس القائل بذلك... وبعماده من تحت يد يوحنا، أكمل المسيح في الحقيقة كل نعمة وكل بِرِّ الخضوع والطاعة للناس، وللدعوة السماوية. وما جاء يوحنا يُعمِّد في الواقع – حسب تصريحه – إلَّا لكي يُعلن للعالم خضوع المسيح للدعوة السماوية وإظهار بِرِّه لإسرائيل. فكانت معمودية يوحنا، بصورة سرِّية، عبارة عن نداء سماوي أحسه يسوع فعلًا وعَلِمَ أنه صوت الآب، فاستجاب له بكل خضوع ومسرَّة، وحنى رأسه له من تحت يد يوحنا في اتضاع بلغ الذروة“. والتواضع إخلاء الذّات،”وكل إخلاء لاهوتي هو بِرٌّ بحسب الناسوت“.

وبهذه العبارة الختامية التي بلغت الغاية في إحكامها ودقتها، ظهر كمال بِرِّ المسيح في قبوله للمعمودية، واتضحت القيمة اللاهوتية للحوار الذي دار قبل النزول إلى الأردن، بين الرب وبين يوحنا المعمدان.

نزل السيد إلى مياه الأردن وأكمل بِرَّ الاتضاع. فماذا كان جواب السماء على هذا؟! انفتحت في علانية واضحة، وانحدر الروح القدس بهيئة جسمية مع صوت الآب، يُعلن عن مسرته بكمال بِرِّ المسيح وخضوعه وطاعته.

ويبدأ الذهبي الفم شرحه لهذا الجزء، بأن نزول الروح على المسيح هو ضرورة تُحتِّمها ظروف الحادثة نفسها، أي للتمييز بين الشخصيتين: إحداهما ذات ماضٍ عريض في النُّسك والشهرة والمجاهرة بالحق، هذا هو يوحنا السابق الأول لمجيء المسيح. والثانية شخصية عادية لم تحسَّ بها الجموع لأن دورها لم يُستعلَن بعدُ.

[... لأن كثيرين كانوا يُفكِّرون أن يوحنا أعظم من المسيح. فيوحنا قضى أيام حياته في البرية، وكان ابن كاهن عظيم، ووُلد من امرأة عاقر متقدِّمة في السنِّ، يتمنطق بمنطقة من جلد على حَقَوَيْهِ، ويلبس وبر الإبل، ويكرز للجميع بالتوبة. هذا كله بينما المسيح ابن فتاة بسيطة – لأن الميلاد البتولي لم يكن معروفًا للجميع – وتربَّى في بيت عادي، وخالَط الناس حتى بدا أمام الجميع أنه أقل من يوحنا. وفي النهاية جاء ليعتمد من يوحنا، وهو الأمر الذي فاق كل ما سبق. فحتى لا تشيع هذه الفكرة بين الجميع، انفتحت السماء وقت معموديته، ونزل الروح مثل حمامة مع صوت يُعلن كرامة الابن الوحيد. فالروح بنزوله، اجتذب الصوت إلى المسيح مُعلِنًا أن ”هذا“ ليس عن يوحنا الذي يُعمِّد بل يسوع الذي يتعمَّد].

وبعد قليل يسترسل الذهبي الفم بالشرح ليشملنا نحن أيضًا في هذه الحادثة الإنجيلية، ويتساءَل:

[لماذا انفتحت السموات؟ ليُعرِّفك أن هذا ما يحدث أيضًا وقت معموديتك، أنَّ الله يدعوك إلى وطنك السماوي، ويحثّك ألاَّ تلتصق بالأرض. وإن كنتَ لا تُعاين هذا فلا ترتَبْ. فهذا شأن المعاملات الروحانية العجيبة، في بدايتها، تصحبها ظواهر مرئية لأجل بطيئي الفهم، وأغبياء القلب الذين يحتاجون إلى رؤية العين، ويعجزون عن إدراك الطبائع غير الجُسْدانِيّة. ولكن ما أُعلن مرة واحدة للجميع في الأول، ينبغي قبوله بالإيمان بعد ذلك...

ففي حالة الرسل مثلًا، كان هناك صوت هبوب ريح عاصفة وألسنة نارية منقسمة. لم يكن ذلك من أجل الرسل، بل من أجل اليهود الحاضرين. ورغم عدم وجود علامات أو آيات محسوسة، لكننا ننال نفس القوة التي قبلوها مرة بظواهر مرئية. لذلك كان انفتاح السموات، وظهور الروح مثل حمامة لأجل اليهود ولأجل يوحنا، كأُصبع تشير إلى يسوع الابن الحبيب، بل ولك أنت أيضًا لتتيقَّن أن الروح يحلُّ عليك بنفس القوة أثناء المعمودية، ولا حاجة لأن تُعاينه لأنَّ الإيمان هنا يكفي. فالآيات ليست للمؤمنين بل لغير المؤمنين (انظر ١كو ١٤: ٢٢)].

ولماذا حلَّ الروح القدس بهيئة حمامة؟

[... لأنها تُذكِّرنا بالتاريخ القديم، لما حدث انهيار عام للبشرية كلها حتى صارت تحت خطر الإبادة والهلاك، ظهرت الحمامة مُعلنة النجاة من العاصفة، حاملة غصن الزيتون (تك ٨) تذيع الأخبار السارة عن عودة السلام والهدوء ثانية إلى العالم. كان هذا مثالًا لهذه الأمور العتيدة أن تحدث. كانت أحوال الناس وقتئذ سيئة تستحق الهلاك، فحتى لا تيأس لذلك يُذكِّرك بهذا التاريخ. كانت الأمور تنذر باليأس والخراب، ومع ذلك بَقِيَ نوع من الخلاص، والإصلاح بإنزال العقاب حينذاك، أما الآن فبنزول النعمة والموهبة التي لا يُعبَّر عنها.

هكذا ظهور الحمامة، أي الروح القدس، تشير إلى الذي سيُخلِّصنا من كل أنواع الشرور، وتدلُّنا على رجاء النعمة. حمامة نوح جاءت تُبشِّر الإنسان ليخرج من الفُلْك، وحمامة الروح تقود العالم الآن إلى السماء بظهورها؛ وعِوَض غصن الزيتون، تحمل لنا التبنِّي لكل جنس البشر].

ولكي نستزيد شرح هذه النقطة الهامة، نعود إلى عظات الأب متى المسكين: ”فنزول الروح القدس بهيئة حمامة، تعبير سرِّي غاية في الدقة والإحكام عن بداية خليقة جديدة بعد الطوفان... الروح القدس ينزل على المسيح حتى يشدّ انتباه الإنسان إلى عِظَم معنى المعمودية التي جازها المسيح – ونحن فيه – كحدث من أخطر وأجلِّ الاحداث التي جازها المسيح من أجل حياتنا... الإشارة واضحة أشد الوضوح أننا بلغنا النجاة والخلاص حتمًا في المسيح، من داخل مياه الأردن، حيث شاطئ الأمان، والأرض الجديدة والسماء الجديدة، وسلام الله الأبدي، وخليقة جديدة تحيا، وتنمو بالروح القدس متصالحة مع الله في جسم ابنه، تحيا تحت سماء مفتوحة إلى الأبد في مسرة الله الآب دائمًا “!!

الأعياد بين العهدين القديم والجديد (٢)

في الجزء الأول من هذا المقال (كانون أوّل ٢٠١٥)، عرضنا لنشأة الأعياد في العهد القديم، بدءًا بتقديس السبت، ثم كان الترتيب الإلهي للاحتفال بمناسبات بعينها، اعترافًا برعاية الله لشعبه، وخروجهم من مصر بذراع رفيعة، والعناية بهم خلال مسيرتهم الطويلة في البَرِّيَّةِ. **فكانت الأعياد الرئيسة السبعة**، وهي: الفصح، والفطير، والباكورة، والأسابيع، والأبواق، والكفَّارة، والمظال.

† تراجُع الجانب الروحي للأعياد اليهودية:

ظل الإسرائيليون على التزامهم بالاحتفال بأعيادهم. ومع مرور السنين، أَخَذ معظمهم في الانحراف عن القصد الإلهي من الأعياد، وفترت المحبة الأولى، وصار التركيز على الجوانب الطقسية الخارجية (وإنْ كانت بالفعل تُشكِّل عنصرًا أساسيًا) مع تباعُد القلب عن الله. { ومعروف أنَّ الملك سليمان بن داود (الذي تراءى له الرب مرتين) أمالت قلبه النساء الغريبات وراء آلهة أخرى، وَعَمِلَ الشَّرَ في عينَيِ الرب الذي عاقبه بتمزيق مملكته إلى اثنتين (١مل ١١). وصار عبده يربعام ملكًا على إسرائيل ذات الأسباط العشرة، ووضع عِجْلَيْن من الذهب في بيت إيل، وفي دان آلهة بديلة، وصيَّر كهنة من غير اللاويين؛ بل إنه ابتدع عيدًا في الشهر الثامن في اليوم الخامس عشر (مقابل عيد المظال) (١مل ١٢)}.

وسجَّلت كُتُب الأنبياء عدمَ رضا الرب عن عبادة إسرائيل الباطلة، وتحوُّل أعيادهم إلى احتفالات شعبية ميِّتة: «هذا الشعب قد اقترب إليَّ بفمه وأكرمني بشفتيه، وأما قلبه فأبعده عني» (إش ٢٩: ١٣)، «رؤوس شهوركم وأعيادكم بَغَضَتْها نفسي. صارت عليَّ ثِقَلًا. مَلِلْتُ حَمْلَها» (إش ١: ١٤)، «وَأُبْطِلُ كلَّ أفراحها: أعيادها ورؤوس شهورها وسبوتها وجميع مواسمها» (هو ٢: ١١)، «بَغَضْتُ كَرِهْتُ أعيادكم، ولستُ ألتذُّ باعتكافاتكم. إني إذا قدَّمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضي، وذبائح السلامة من مُسَمَّناتكم لا ألتفت إليها... وأُحوِّل أعيادكم نَوْحًا، وجميع أغانيكم مراثيَ» (عا ٥: ٢١،٢٢؛ ٨: ١٠).

فالأعياد بالرغم من أنها كانت فرصة بهيجة للِّقاء مع الله، وتذكُّر رفقته وإنقاذه وعطاياه كل الأيام؛ إلَّا أنها لمَّا فَقَدَت روحها وصارت أداءً دوريًا آليًّا، اسْتُبعِد الله منها، ولم يبقَ فيها إلَّا الشكل؛ فَقَدَت أيضًا رضى الله.

† المسيح والأعياد اليهودية:

يُسجِّل الكتاب المقدَّس أنَّ مريم العذراء ويوسف كانا «يذهبان كلَّ سنة إلى أُورشليم في عيد الفصح. ولمَّا كانت له (الرب يسوع) اثنتا عشرة سنة صَعِدُوا إلى أُورشليم كعادة العيد. وبعدما أَكْمَلُوا الأيام...» (لو ٢: ٤١-٤٣). أي أنَّ المسيح، وهو بَعْدُ صَبِيٌّ، كان يذهب مع أُمِّه ويوسف التقيَّيْن إلى أُورشليم في عيد الفصح (والفطير) ويقضون هناك أيام العيد الثمانية. والربُّ لم يكن مجرد يهودي ملتزم يحتفل بالأعياد (يو ٤: ٤٥؛ ٥: ١؛ ٧: ١٠؛ ١٢: ١٢)، ولكنه كان مؤسِّسها ومِحْوَرَهَا. ومِن هنا كان يُعلِّم في الهيكل في أثنائها (منذ أن كان صبيًا – لو ٢: ٤٦،٤٧) قاصدًا أن يكشف معانيها العميقة وأبعادها الخافية التي تتحقَّق في الإيمان به باعتباره المسيَّا مُخلِّص العالم (مت ١: ٢١).

كان المسيح يتكلَّم كمَن له سلطان، كمُرسِل الأنبياء، صاحب الوصايا ورَبِّ البيت:

† فهو يُعلِن، ابتداءً، أنه لم يأتِ لينقض الناموس والأنبياء (فهو لم يكن غريبًا عنهما)، وإنما ليُكْمِلُهُما ويُحقِّق أهدافهما، ويُقدِّم «عهدًا جديدًا. ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأُخرجهم من أرض مصرَ، حين نقضوا عهدي، فرفضتهم... بل هذا هو العهد... أجعل شريعتي في داخلهم، وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا» (إر ٣١: ٣١-٣٣؛ عب ٨: ٨-١٠؛ ١٠: ١٦،١٧).

† كما أدان رياء العبادة التي غلبت عليها المظاهر (مت ٦: ٢،٥،١٦)، ومحبة المال واكتنازه (مت ٦: ١٩،٢٤)، والحياة المادية (مت ٦: ٢٥).

† وكان يصنع بعض معجزاته في السبت {شفاء مريض بركة بيت حسدا (يو ٥: ١-٩)، شفاء المرأة المنحنية (لو ١٣: ١٠-١٧)، شفاء رجل به شيطان (لو ٤: ٣١-٣٦)، وشفاء حماة سمعان (لو ٤: ٣٨،٣٩)}. الذي تحوَّل على أيدي اليهود الشكليين إلى يوم سلبي لا روح فيه، حيث كانوا يحرصون على وزن ما يحملونه، والمسافة التي يقطعونها، تاركين طاعة الوصايا بروحها. وكثيرًا ما آخَذوا الرب على مواقفه، ولكنه جدَّد مفهوم السبت بتكريسه لله بعمل الخير (مت ١٢: ١٢)، والتعامُل مع وصية الله بروحها لا بظاهرها. والذي كان يتكلَّم هنا هو «رب السبت» (مت ١٢: ١٨؛ لو ٦: ٥)، ومَن هو «أعظم من الهيكل» (مت ١٢: ٦)، ولا تُرضيه العبادة الشكلية، فهو إنما يريد «رحمة لا ذبيحة» (هو ٦: ٦؛ مت ٩: ١٣؛ ١٢: ٧،٨).

† ولما انتقد الكتبة والفرِّيسيون تلاميذه أنهم «لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزًا»، وصفهم بالرياء، واستعاد نبوَّة إشعياء عن ديانتهم الباطلة، إذ يُردِّدون الكلام بالشفاه، ولكن القلب مبتعدٌ عن الله بعيدًا، ويتمسَّكون بتقليد الناس، ويتركون وصية الله (إش ٢٩: ١٣؛ مت ١٥: ٧-٩؛ مر ٧: ٦-٨). كما قال أيضًا: «ليس كل مَن يقول لي: يا ربُّ يا ربُّ، يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات» (مت ٧: ٢١).

† والرب شدَّد على تصحيح رؤية الفرِّيسيين من جهة النجاسة الخارجية المادية، مُبيِّنًا أنَّ ما يدخل الإنسان (طعامًا) لا يقدر أن يُنجِّسه، وإنما هو «الذي يخرج من الإنسان»، سواء ذلك بالكلمات، أو بالأفكار الشريرة بأنواعها، وهذا ما لم يفطنوا إليه (مت ١٥: ١١، ١٨: ٢٠؛ مر ٧: ١٨-٢٠).

† ولمَّا تحوَّلت أمور الذبائح من ارتباطها بالتوبة والندم عن الخطيئة وتقديم الشكر لله، وصار تقديم الذبيحة فِعْلًا آليًّا لا روحَ فيه، كما صارت الذبائح تجارة رابحة. وانقلب هيكل الله إلى سوق للبيع والشراء؛ هنا تصاعدت غَيرة الرب، وطرد باعة الغنم والبقر والحمام وقَلَبَ موائد الصيارفة { وكان إخراج الرب للبقر والغنم من الهيكل إعلانًا ضمنيًا مُسبقًا، على انتهاء دور الذبائح اليهودية التي استحال بالأكثر تقديمها بخراب هيكل أُورشليم وحتى اليوم.}، وهو يقول: «مكتوبٌ: بيتي بيت الصلاة يُدْعَى (لكل الشعوب/ الأُمم) وأنتم جعلتموه مغارة لصوص» (إش ٥٦: ٧؛ إر ٧: ١١؛ مت ٢١: ١٢،١٣؛ مر ١١: ١٥-١٧؛ لو ١٩: ٤٥،٤٦؛ يو ٢: ١٤-١٧)؛ ساعتها تذكَّر تلاميذه المكتوب: «غيرة بيتك أكلتني» (مز ٦٩: ٩).

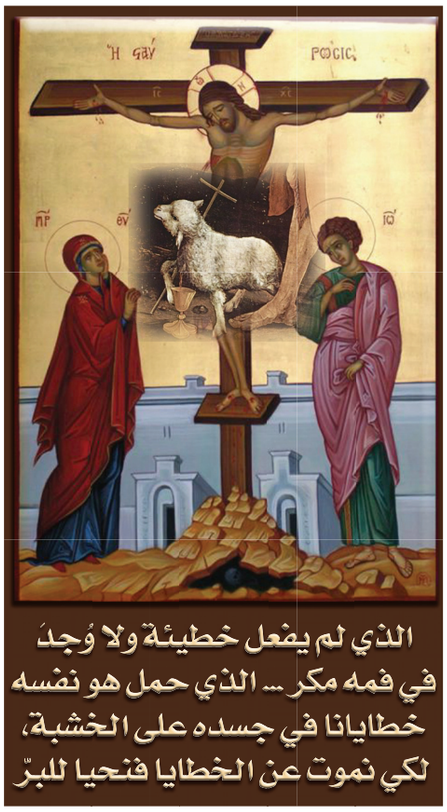

† لقد صبَّ الويلات على مُعلِّمي الناموس، الذين وصفهم بالقادة الجُهَّال والعميان الذين يقولون ولا يفعلون (مت ١٥: ١٤؛ ٢٣: ١٩)، وأنهم كالقبور المُبيَّضة من خارج ومن داخل مملوءة عظام أموات، وذلك لمسئوليتهم عن تضليل الشعب، وقيادتهم إلى الهلاك (مت ٢٣: ١٣-٣٥). وقال في رَفْضهم مَثَل «الكرَّامين الأردياء» (مت ٢١: ٣٣-٤٥؛ مر ١٢: ١-١٢؛ لو ٢٠: ٩-١٩).

† والرب بيَّن أنه ليس عند الله محاباة قائلًا للذين يظنون أنهم أَبرُّ من غيرهم: «إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون» (لو ١٣: ٣،٥)، وأكَّد على أنَّ الله هو رب الكل. وهو واجه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب بالقول: «إنَّ كثيرين من الأُمم، بل والعشَّارين والزواني يسبقونهم إلى ملكوت الله» (مت ٨: ١١؛ ٢١: ٢١). والرب قَبِلَ إيمان قائد المائة الروماني (مت ٨: ٥-١٠؛ لو ٧: ٢-١٠)، والمرأة الكنعانية (مت ١٥: ٢١-٢٨؛ مر ٧: ٢٤-٣٠)، والسامرية وأهلها الغرباء (يو ٤: ٢٩، ٣٩-٤٣)، مُبيِّناً أنه قد جاء للجميع.

† الأعياد اليهودية في نور العهد الجديد:

لم تكشف الأعياد اليهودية في وقتها غير بُعْدها الظاهر المرتبط بالأحداث التي مرَّ بها الشعب اليهودي، وممارساتهم الأرضية. فخروجهم من أرض مصرَ، وعبورهم البحر الأحمر بتدخُّل إلهي باهر، ورعاية الله لهم خلال مسيرتهم في بَرِّيَّة سيناء لأربعة عقود؛ أفرز أعياد الفصح والفطير والمظال والأبواق والكفَّارة، وارتبط عيدا الباكورة والحصاد (الأسابيع أو الخمسين) ببركات الأرض ووفرة غلاَّتها. وكلها تقصد تقديم الشكر له، وطلب الغفران، وتذكُّر أعمال الله ومراحمه.

ولكننا نلمح في نبوَّات الأنبياء ما يكشف عن الآفاق البعيدة لهذه الأعياد. وأنه بمجيء الرب في الجسد، يظهر ما كان محتَجَبًا، وتكتمل أبعادها المتوارية التي لم يُدركها إسرائيل.

وقد شارَك الرب في كل الأعياد، فكان بتعاليمه وممارساته، وما جازه في النهاية من آلام وموت وقيامة، النور الذي سُلِّط عليها، ففسَّر ما أحاط بتأسيسها من مُلابسات وما حَوَتْهُ من رموز.

١) بين خروف الفصح وذبيحة المسيح:

تتعدَّد أوجه الشَّبَه بين خروف الفصح وذبيحة الصليب. فبحسب أَمْر الرب يكون خروف الفصح «شاةً صحيحة ذكرًا ابن سنة (أي فتيًّا لم يَشِخْ)» (خر ١٢: ٥). ومكتوب عن المسيح: «كشاةٍ تُساق إلى الذبح... فلم يفتح فاه» (إش ٥٣: ٧). ويوحنا المعمدان، الملاك المُرسَل كي يُهيِّئ الطريق قدَّام الرب (ملاخي ٣: ١؛ مر ١: ٢) لمَّا نظر يسوع مُقبلًا إليه، قال: «هوذا حَمَلَ الله (الحقيقي) الذي يرفع خطية العالم» (يو ١: ٢٩). وكتب عنه القديس بطرس في رسالته الأولى: «عالمين أنكم افتُديتم لا بأشياء تَفْنَى... من سيرتكم الباطلة... بل بدمٍ كريم، كما مِن حَمَلٍ بلا عَيْبٍ ولا دَنَسٍ، دم المسيح» (١بط ١: ١٨،١٩).

فالرب هو الذي يرمز خروف الفصح إلى ذبيحته. فالمسيح ابن

الله كان بلا عيب، وهو القائل: «مَن منكم يُبكّتني على خطيئة» (يو ٨: ٤٦)، وهو «الذي لم يعرف خطيئة» (٢كو ٥: ٢١). وهو بعدُ شاب في مقتبل عمره، سِيق مُوْثَقًا إلى المحاكمة (لو ٢٢: ٥٤؛ يو ١٨: ١٢) وحَمَلَ صليبه (يو ١٩: ١٧) الذي سُمِّر عليه.

وبحسب أَمْر الله، كان على الخروف أن يبقى تحت الحفظ من اليوم العاشر إلى الرابع عشر من الشهر ثم يُذبح. ومعروفٌ أنَّ المسيح دخل أُورشليم في اليوم العاشر، في موكب حافل. وظل يأتي نهار كل يوم إلى الهيكل يُعلِّم (لو ١٩: ٤٧؛ ٢٠: ١؛ ٢١: ٣٧). واحتفل بالفصح مع تلاميذه ليلة الجمعة (مساء الخميس حيث يبدأ الفصح)، وتمَّ صلبه ظُهْرَ الجمعة في ذات نهار عيد الفصح، وهو الحَدَث الذي جعلته السماء حَدَثًا كونيًا باحتجاب الشمس في رابعة النهار لثلاث ساعات، فتطابَق الرمز (ذبح الخروف) مع تحقيقه (صَلب المسيح) بحسب الترتيب الإلهي المُحْكَم (يو ١٨: ٢٨؛ ١٩: ١٣،١٤).

وكما كان خروف الفصح يؤكل مشويًّا بالنار مع فطير على أعشاب مُرَّة (خر ١٢: ٨)، ودون كَسْر عظامه (خر ١٢: ٤٦؛ عد ٩: ١٢)؛ هكذا جاز الرب نار آلام ساحقة. وذاق خلًّا ممزوجًا بمرارة قُدِّم إليه، ولكنه لم يُرِد أن يشرب (مت ٢٧: ٣٤)، لكن مرارة العذاب كانت أقسى من أن تُحتَمَل. وبينما تمَّ كسر سيقان اللِّصَّيْن كي يُعجِّلوا بموتهما، لم يكسروا ساقَي المسيح «لأنهم رأوه قد مات» (مز ٣٤: ٢٠؛ يو ١٩: ٣٢،٣٣، ٣٦). وقد أُنزل المسيح مِن على الصليب بعد الساعة التاسعة من يوم الجمعة، وهو ما كان مطلوبًا أيضًا من الإسرائيليين ألَّا يُبقوا شيئًا من خروف الفصح إلى الصباح (خر ١٢: ١٠).

وإذا كان بدم خروف الفصح على أبواب بيوت العبرانيين نجاتهم من الملاك المُهلك الذي أمات أبكار المصريين (خر ١٢: ١٣)؛ فكم بالحَريّ دم المسيح المصلوب، فصحنا الجديد، غفران الخطايا وخلاص المؤمنين من الموت الأبدي: «لأن فصحنا أيضًا المسيح قد ذُبِحَ لأجلنا» (١كو ٥: ٧)، «إذ محا الصَّكَّ الذي علينا في الفرائض، الذي كان ضدًّا لنا، وقد رفعه من الوسط، مُسمِّرًا إيَّاه بالصليب» (كو٢: ١٤)، «ورأيتُ فإذا في وسط العرش... خروف قائم كأنه مذبوح» (رؤ ٥: ٦)، «وهم يترنَّمون ترنيمةً جديدة قائلين: «مُستحِقٌّ أنت أن تأخذ السِّفْرَ وتفتح ختومه، لأنك ذُبِحْتَ واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأُمَّة» (رؤ ٥: ٩).

على أنَّ احتفال المسيح بالفصح القديم لم يقف عند أَكْل الفصح ليلة الخميس، وإنما أسَّس الرب على نفس المائدة سرَّ الشركة والشُّكر، واسْتَبَق به أحداث الصليب، وقدَّم جسده ودمه إلى تلاميذه، الذي دخل به نهار الجمعة إلى الأقداس فصنع فداءً أبديًا، ولكي يظل حاضرًا في كنيسته كل يوم، عيدًا مُتجدِّدًا ممتدًّا إلى مجيئه الثاني، حين نشربه جديدًا في ملكوت أبيه (مت ٢٦: ٢٩). هكذا صارت **ذبيحة الإفخارستيا الفصح الجديد** الذي نأكله بديلًا عن الفصح القديم، والدمُ الذي خضَّب العتبة العُليا والقائمتيْن نشرب مُقابله دم العهد الجديد الذي يُطهِّرنا من كل خطيئة، ويُثبِّت الرب فينا ونحن فيه. وامتدَّت أبعاد الفصح الجديد، ففي كل مرة نأكل جسد الرب ونشرب دمه، نحن نُبشِّر بموته، ونعترف بقيامته، ونحفظ ذِكْره إلى أن يجيء في اليوم الأخير.

وكما كان **غير مسموح** للغريب أو النجس أو الأغلف أن يأكل من الفصح (خر ١٢: ٤٣،٤٨)؛ كذلك **لا تسمح** الكنيسة لغير المعتمد، أو المستهتر أن يتقدَّم إلى مائدة الإفخارستيا: «إذاً أيُّ مَن أَكَلَ هذا الخبز، أو شَرِبَ كأس الرب، بدون استحقاقٍ، يكون مُجرمًا في جسد الرب ودمه... يأكل ويشرب دينونةً لنفسه، غير مُمَيِّز جسد الرب» (١كو ١١: ٢٧،٢٩).

٢) المسيح وعيد الفطير:

معروفٌ أنَّ الخمير يرمز إلى الخطيئة، وبالتالي فالفطير يرمز إلى النقاوة والتجرُّد من الفساد. ومع بدء عيد الفطير في اليوم التالي للفصح كان المسيح في القبر، ويترتَّب عليه أنه لم يحتفل بعيد الفطير ذي الأيام السبعة. ولكن، واقع الأمر، أنَّ المسيح كان الفطير الحقيقي: «الذي لم يفعل خطيئة ولا وُجِدَ في فمه مكر... الذي حَمَلَ هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبرِّ» (١بط ٢: ٢٢،٢٤). وهو لأجل بِرِّهِ صار مؤهَّلًا أن يحمل خطايا الكثيرين ويشفع في المذنبين (إش ٥٣: ١٢)، بل إنه جُعِلَ «خطيئة لأجلنا، لنصير نحن بِرَّ الله فيه» (٢كو ٥: ٢١).

وفي تعليم العهد الجديد ارتبط الخمير بالرياء والشر {من هنا فإنَّ قربانة الحَمَل في سرِّ الإفخارستيا في كنيستنا تكون من خبز مُختمر، لأن الرب حمل خطايانا في جسده (عب ٩: ٢٨). وبدخول الخبز المعجون في التنُّور (الذي يرمز إلى آلام الرب)، فإنَّ الخميرة (أي خطايانا) تحترق وتسقط، وتنضج القربانة فطيرًا نقيًّا بعد أن سمَّر الرب خطايانا بالصليب (كو ٢: ١٤)، واغتسل كل مؤمن تائب بالدم الكريم.}: «انظروا وتحرزوا لأنفسكم من خمير الفرِّيسيين الذي هو الرياء» (مت ١٦: ٦،١٢؛ مر ٨: ١٥؛ لو ١٢: ١). ويكتب القديس بولس في هذا الصدد: «إذًا نقُّوا منكم الخميرة العتيقة، لكي تكونوا عجينًا جديدًا كما أنتم فطيرٌ. لأن فصحنا أيضًا المسيح قد ذُبِحَ لأجلنا. إذًا لنُعيِّد، ليس بخميرة عتيقة، ولا بخميرة الشر والخُبث، بل بفطير الإخلاص والحق» (١كو ٥: ٧،٨). فالفطير لا يرمز فقط إلى شخص الرب، وإنما أيضًا إلى كل مؤمن اعتمد لموت المسيح، وتحرَّر من **أَسْر الخطيئة**.

القلب المتخشِّع والمتواضع لا يرذله الله.

عظمة سرّ الشكر المقدَّس

للقديس نيقولا كاباسيلاس

بتناولنا نصير شركاء في جسد الرب ودمه:

نتقدَّم من المائدة السريَّة mystical لنصير شركاء في جسد الرب الطاهر ودمه الكريم. يستقي المسيحي من المناولة الإلهية الحياة الروحية بقوتها العظيمة. لا يستطيع الإنسان أن يتصوَّر سعادة أسمى من سعادة الاشتراك في هذا السر العظيم. فالمقصود هنا ليس فقط الحياة الفُضلَى، بل ما هو أسمى. بالمناولة المقدسة لا نأخذ بعض العطايا من الروح القدس، بل الرب القائم من بين الأموات نفسه، المُحسِن الكبير، الهيكل الحاوي لكل النِّعَم والمواهب الإلهية. لا شكَّ أنَّ المسيح موجودٌ في كلِّ أسرار كنيستنا. إنه حاضرٌ في الذين يشتركون فيها، ويُعطي النِّعَم بطُرُق مختلفة. ولكنه عندما يقود المؤمن إلى سرِّ الشكر الإلهي ويُعطي جسده طعامًا روحيًا ودمه، فإنه يُجدِّد الإنسان. يبقى الإنسان حتى المناولة طينًا، ولكنه بعد المناولة لا يبقى كما كان طينًا؛ بل يأخذ شكلًا ملوكيًا، يصبح جسد المسيح الملك. أية سعادة أعظم من ذلك؟

بتناولنا يسكن المسيح فينا:

إنَّ المسيح، وفقًا للوعد الذي قطعه، يسكن فينا ونحن فيه بالمناولة المقدسة: «مَن أكل جسدي وشرب دمي يبقى فيَّ وأنا فيه» (يو ٦: ٥٦). وعندما يسكن المسيح فينا على الدوام، عندما يسكن في قلوبنا، فماذا نحتاج بعد؟ أيمكن أن نُحرَم من أية خيرات حقيقية؟ إن المسيح يصير مسكنًا لنا، وساكنًا فينا بآنٍ واحد. إننا سعداء لأن لنا بيتًا كهذا. إننا سعداء أيضًا لأن المسيح جعل بيته فينا. أية خيرات هذه ما لم تكن في متناول يدنا؟ أية خيرات روحية تنقصنا إذا كُنَّا مرتبطين بهذا الرباط مع السيِّد؟ عندما نصل إلى **هذا البهاء الروحي**، أيمكننا أن نهتم **ببُطل العالم وفساده**؟ أي شرير، أي ماكرٍ يمكنه أن يقف في وجه غِنَى الخيرات الروحية؟ إذا كان المسيح فينا فلن يدخل شر واحد إلى قلوبنا. بينما هو يملأ قلوبنا بحضوره، ويسكن في أعماق نفوسنا ويدخل إليها، ويسود ويحوطنا من كل جانب؛ فإنه يطرد من داخلنا كل اندفاعٍ مُجرَّم، لأنه ساكنٌ فينا. إنه يريد أن يملأ بذاته كل البيت، يريد أن يملأ قلوبنا. ففينا لا يسكن قِسْمٌ من المسيح، بل المسيح كله؛ ولا أنوار قليلة وأشعة روحية معينة، بل الشمس الروحانية كلها. إننا نصبح مع المسيح روحًا واحدًا، وبالمسيح يصبح الجسد والروح والقُوَى كلها روحانية. إنَّ القُوَى الإلهية السامية تسود القُوَى البشرية الوضيعة، ويحدث ما يقوله الرسول بولس عن القيامة: «لكي يُداس الموت بالحياة» (٢كو ٥: ٤)، أو: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠).

يا لَلسر العظيم الذي لا يُدرَك غَوْره! نتَّحد مع المسيح اتِّحادًا يصبح فيه عقل المسيح عقلنا، وإرادته إرادتنا، وجسده جسدنا، ودمه دمنا. كما يرتفع عقلنا في الواقع عندما يسوده عقل المسيح! وكم ترتفع إرادتنا إذا هي خضعت لإرادته المغبوطة! إنَّ جسدنا كم يتنقَّى وهو الطين عندما يوجد وسط شعلة المسيح! أيمكن أن نُحقِّق مثل هذا الارتباط مع المسيح؟ إنَّ الرسول بولس يُجيب على ذلك لأنه تمكَّن أن يجعل من عقله عقل المسيح، ومن إرادته إرادة له: «لنا نحن فكر المسيح» (١كو ٢: ١٦)، «إني لأعتقد بأني أملك روح المسيح»، «ومن المسيح المتكلِّم فيَّ اطلبوا برهانًا» (٢كو ١٣: ٣)، «وأشتاق أن يكون المسيح في أحشائكم جميعًا» (في ١: ٨).

يُستدَل من كل ذلك، أنَّ الرسول بولس كانت له إرادة المسيح، ويُعلن هذه الحقيقة إعلانًا صارخًا عندما يكتب ويقول: «لا أحيا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ». يا لَعَظَمَةِ سر الشكر المقدَّس! إنه يقود الإنسان إلى قمة الخيرات ويُشكِّل الكلمة الأخيرة للارتفاع البشري، لأن الله يتَّحد بنا بواسطة هذا السر اتِّحادًا كلِّيًا ونهائيًا.

جسد الرب ودمه هو دواء ضد الخطيئة:

إنَّ جسد المسيح هو الدواء ضد الخطيئة، ودمه الكريم هو السبيل الوحيد الذي به يتخلَّص الإنسان من جريرته وثقل خطيئته. فجسد المسيح صار كنزًا للكمال الإلهي، وكان دائمًا نقيًّا من كل خطيئة؛ فأكمل كل عدالة، وبشَّر بالآب بين البشر، وكان وقتئذٍ مجهولًا عندهم. بشَّر به قولًا وفعلًا. هذا الجسد الذي نتناوله ذُبِحَ فوق الصليب، وقاسَى العذاب عندما اقتربت الساعة للتضحية، فاستحمَّ وسط عرقٍ من دم. **خانه يهوذا**، وقُبِضَ عليه وسِيق مُقيَّدًا أمام فاعلي الإثم. وشهد أمام بيلاطس الشهادة الصالحة، كما يقول الرسول بولس. وبسبب شهادته العُظمى تحمَّل الموت، موت الصليب. تحمَّل هذا الجسد الذي نتناوله الجَلْد أيضًا، وسُمِّرت اليدان والرجلان، وطُعِنَ جنبه بحربةٍ، وتألَّم وقت الجَلْد واحتَمَلَ آلامًا عظيمة، وعانَى

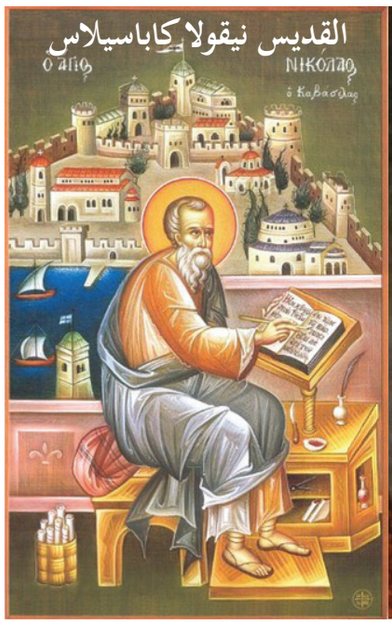

أشدَّ العذاب عندما سُمِّر على الصليب. وهذا الدم الكريم، دم المسيح الذي نتناوله عندما انسكب من الجراح، أظلمت الشمس وزلزلت الأرض، وتقدَّس الفضاء وتنقَّى العالم كله من رجس الخطيئة.

لم يكن للناموس الحرفي – **ناموس العهد القديم** – قوة تجعل الذين يُحافظون عليه كاملين، لأنه ناموس ناقص. كان من الضروري أن يُكشَف عن ناموس الروح، ناموس العهد الجديد الكامل والقادر أن يقود الإنسان إلى الكمال. إنَّ الألم الذي يُعانيه المسيحيون والدموع التي يسكبونها ليحوزوا من جديد النعمة التي خسروها بسبب الخطايا بعد المعمودية، لا يفيدهم في شيء إذا هم لم يركضوا ويُسارعوا إلى دم العهد الجديد وإلى جسد المسيح الذي ضُحِّيَ به على الصليب. إنَّ سرَّ الشكر هو السر الذي يعتق أمام عدالة الله أولئك الذين اعترفوا بانسحاق قلب أمام الله بخطاياهم. نعتمد مرة واحدة، ولكننا نتناول مرارًا لأننا كبشر نُخطئ. ولكي نتخلَّص من خطايانا، من الضروري أن نهرع إلى التوبة، وإلى الجهاد والصراع ضد الخطيئة. ولكي نَحْظَى بالغلبة، علينا أن نتناول جسد المسيح ودمه الذي يُشكِّل الدواء لشفاء الشرور الإنسانية.

النِّعَم التي نحوزها بتناولنا:

إنَّ الزيتونة البريَّة إذا طُعِّمَت بطُعْمٍ صالح، تتحوَّل وتصبح زيتونة مُثمرة، وهذا ما يحدث تماما معنا نحن المسيحيين. ولكن عندما نكون وحدنا نبقى بدون إثْمارٍ روحاني؛ أما عندما نرتبط بالمسيح ونتناول جسده ودمه، ننال سريعًا عِظَم الخيرات، غفران الخطايا وملكوت السموات، أي ثمار التبرير التي يُعطيها المسيح.

نتناول جسد المسيح الذي يُشكِّل ضمانًا لتحقيق الانتصار الروحاني. ومن الواضح أن حياتنا بعد المناولة الإلهية يجب أن تصير مسيحية النوع، أي على شكل المسيح: «أنتم جسد المسيح وأعضاء من أعضائه» (١كو ١٢: ٢٧). إنَّ كلمات الرسول تنطبق بالأكثر على أرواحنا وتنطبق على اجسادنا، ويُشير الرسول بولس عندما يقول: «الملتصق بالرب فهو روحٌ واحد» (١كو ٦: ١٧) إلى الرباط الذي يربط نفوسنا بالمسيح. ويُشدِّد كثيرًا على هذا الرباط. لذلك، فالمسيح لم يتّخذ جسدًا فحسب؛ بل وروحًا وعقلًا وإرادة وكل ما هو بشري، ما عدا الخطيئة لأنها ليست من طبيعة البشر، حتى يتَّحد كلِّيًا مع وجودنا ويربط كل ما لنا بما له. مع الخطأة لا يتَّحد المسيح، لأنه خِلوٌ من كل خطيئة ولا علاقة له بها، لأنه بريء من الخطأ. لقد قَبِلَ الرب كإله رحيم كل عناصر حياتنا ما عدا الخطيئة، وتنازَل ليتَّحد بنا بتنازُله الذي لا يُحَدُّ.

"أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له":

فالمسيح الإله الحقيقي نزل إلى الأرض ليرفعنا إلى السماء. صار إنسانًا ليرفع الإنسان إلى الله، وبَقِيَ كإنسان خِلْوًا من كل خطيئة، وصار الغالب الأزلي، وأعتق الطبيعة البشرية من الخطيئة والعار، وكمُخلِّص أعتق الإنسان من جريرة الخطايا، وصالحَه مع الله. لم يكن بإمكاننا أن نصعد إلى السماء، وأن ننال هذه المواهب الكبرى، ولذلك نزل المُخلِّص إلى الأرض، فأخذ الذي لنا وأعطانا ما لا ثمن له، أي جعلنا من خاصته. أعطانا جسده ودمه. وبهذه الطريقة نستقبل الله ونقبله في نفوسنا.

بالمناولة نصير رائحة المسيح الذكية:

من الواضح أنَّ المسيح يُدخِل ذاته إلى داخلنا بالمناولة المقدسة، ويتَّحد معنا ويُحوِّل وجودنا وفقًا لحياته الخاصة. إذا سقطت قطرة من الماء في محيط من العبير، فالقطرة تندمج في المحيط وتتَّحد به وتأخذ كل خواصه، وتتحوَّل إلى عبير كالمحيط الذي سقطت فيه. فالمسيح هو الأريج الروحي، وله كل القوة ليُحوِّل المؤمنين الذين يدخلهم بواسطة المناولة المقدسة إلى أُناس ليست فقط حياتهم مُعطَّرة، بل وإلى أُناس يحملون كل عطر المسيح: «نحن عطر

(رائحة) الطِّيب لله ولأولئك نفخة حياة للحياة» (٢كو ٢: ١٦).

إنَّ سرَّ الشكر يَهَبُ القوة والنعمة إلى نفوس المؤمنين الذين يتناولون بقلوبٍ نقيَّة ويبقون بعيدين عن الخطيئة. ويتَّحد المسيح بالذين يستعدُّون قبل المناولة روحانيًا بطريقةٍ لا تستطيع قوة مهما كانت أن تفصم عُرْوَتها: «إن هذا السر لعظيم جدًا، وأنا أقول هذا بالنسبة للمسيح والكنيسة» (أف ٥: ٣٢)، هذا ما يقوله الرسول بولس عن الوحدة الروحانية بين المسيح والمسيحيين الذين هم أعضاء حقيقيون في الكنيسة. سر الشكر نور للذين يملكون قلوبًا نقية، ونفحة تُعطي التقديس، وقوة تُشدِّد إرادة أولئك الذين يحتاجون إلى التقديس. لا يوجد غير هذا النبع أمام أولئك الذين يُصارعون ويُجاهدون، ضد الخطيئة ليستقوا القوة المقدَّسة. «دم المسيح ابن الله لِيُنقيكم من كل خطيئة» (١يو ١: ٧)، هذا ما يقوله يوحنا الإنجيلي الذي تمتَّع بمحبة المسيح الخاصة. المسيح هو الوحيد الذي غلب الشر، لذلك يُشكِّل جسده الطاهر الذي مات على الصليب، راية غلبة ضد الشر، وعونًا قويًا للمُجاهدين ضد الأهواء الخاطئة.

من الضروري أن نتقدَّم باستمرار من المائدة الروحية لنتناول جسد المسيح ودمه، حتى تبقى الحياة الروحانية في داخلنا نشيطة. علينا أن نتقدَّم، لا مرة واحدة، بل تكرارًا ودائمًا. علينا أن نتناول الدواء الإلهي، ليسكن الخالق في الطين الذي هو **"الإنسان"**، ويُصلح صورته التي فقدت شكلها الحقيقي بسبب الخطيئة. إنَّ يد الطبيب، يد المسيح، يجب أن تكون دائمًا فوقنا، لأننا متعرِّضون لخطر الموت بشتَّى الأنواع: «وكنَّا أمواتًا في الخطايا فَعِشْنَا مع المسيح» (أف ٢: ٥). «ودم المسيح... يُنقِّي وجدانكم من أعمال مائتة لتعبدوا الله الحي» (عب ٩: ١٤)، كما يقول الرسول.

إنَّ المائدة الروحانية السامية تُعطينا الحياة الروحانية السامية. وسر الشكر المقدس، هذا الجاذب الإلهي الكُلِّي القدرة، يجذب أرواحنا إلى فوق. فبسرِّ الشكر تُقدَّم العبادة النقية الحقيقية لله. لأنه إذا كانت العبادة النقية هي الخضوع الكامل لله الذي يُحرِّك ويُوجِّه الكل، فمن الواضح أننا سنحصل على هذا الخضوع عندما نصبح أعضاء في المسيح، بواسطة سر الشكر. الرأس يُعطي الأوامر للأعضاء، أمَّا **"خبز الحياة"** فيجعلنا أعضاء في المسيح. وكما أنَّ أعضاء الجسد تعيش لعلاقتها بالرأس والقلب، كذلك يقول الرب: «مَن يأكلني يحيا بي» (يو ٦: ٥٧). لا شكَّ أنَّ الإنسان يحيا بما يُدخِله إلى أعضائه من غذاء، والتغذية المادية ليست حيَّة، لذلك لا تُعطي الحياة. إنها تُساعد على الحفاظ على الحياة الموجودة. ولكن خبز الحياة، المسيح، ليس مجرد غذاء فحسب يُساعد الحياة، بل هو نبع الحياة، والذين يتناولونه يملكون حياة روحانية حقيقية. إنَّ خبز الحياة، المسيح، يُحرِّك المتناول وينقله ويُدمجه بذاته.

التناول يهبنا الحياة الأبدية:

إننا نسجد بواسطة سر الشكر لله، بالروح والحق، ونُقدِّم له عبادة نقية. والعشاء الروحاني هذا يُقيمنا من الموت الروحاني ويُعطينا حياة، ويؤهِّلنا أن نعبد ونحن أحياء، إلهًا حيًّا. لكن الانعتاق من أعمال الخطيئة المائتة ممكن فقط للذين يتناولون دائمًا طعام الحياة هذا. وكما يجب أن نسجد «بالروح والحق» (يو ٤: ٢٣) لأن الله روح، هكذا يجب أن نعبده بملء الحياة الروحانية، لا أمواتًا روحانيًا لأن الله هو الحياة: «ليس الله إله أموات بل إله أحياء» (مت ٢٢: ٣٢).

وقد يدَّعي البعض أنَّ عبادة الله تتمُّ عندما نقوم بأعمال الفضيلة. هذه العبادة هي من صفات العبيد: «عندما تفعلون كل ما أُمرتم به تكونون عبيدًا بطَّالين، لأنَّ ما يجب فعله فعلناه» (لو ١٧: ١٠). المدعوون إليها، لا العبيد، لذلك نتناول جسد المسيح ودمه، الأولاد يتناولون جسدًا ودمًا. فكما أنَّ المسيح اتَّخذ جسدًا ودماً بَشَرِيَّيْن، فقال: «هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الله» (إش ٨: ١٨)؛ كذلك نحن لكي نصبح أولادًا لله، علينا أن نتناول جسد المسيح ودمه. بالمناولة نصبح، ليس فقط أعضاء في المسيح، بل وأبناء، نُقدِّسه ونخضع له بكل نيَّة قلب، وكما يليق بالأبناء.

عندما نتناول، نشعر بقُربَى نحو المخلِّص، أشد من القُرْبَى التي تربطنا بأهلنا الذين ولدونا. إنَّ الوالدين بعد مُضيِّ وقت مُعيَّن، يتحرَّرون من الاهتمام بأبنائهم؛ أما المسيح الذي خلقنا في الحياة الروحانية وولدنا، فهو حاضرٌ دائمًا ومتَّحد معنا. يستطيع الأبناء أن يعيشوا حتى ولو فقدوا آباءهم؛ أما نحن فإذا انفصلنا عن المسيح، فمِن المستحيل أن نحتفظ بالحياة الروحانية، بل ننقاد حتمًا إلى الموت الروحاني. إنَّ خبز الحياة يدخل إلى أعماق الإنسان الجديد ويجتثُّ أصول إنسان الخطيئة العتيق. المناولة المقدَّسة تُعطي هذا المقدار من الخيرات الروحانية، وبها – أي بمناولة جسد المسيح ودمه – ننعتق من الحُكْم الأبدي، ونطرح عالم الخطيئة، ونملك بهاء الصورة الإلهية، ونتَّحد وثيقًا بالمسيح، محمولين دائمًا إلى سموِّ الكمال.

يمنع الرسول بولس من المائدة (المقدسة) أولئك الذين لا يعملون، لأنهم لا يُريدون: «مَن لا يعمل لا يأكل» (٢تس ٣: ١٠). فإذا كان الاشتراك في المائدة الأرضية يحتاج إلى عملٍ؛ فأيُّ عملٍ سامٍ ورفيع، وأية حياة روحانية، تلزمنا نحن الذين نتناول جسد المخلِّص ودمه؟ علينا أن نقترب لنتناول القرابين المقدَّسة بعد تهيئة عظيمة، وبعد أن نُنقِّي نفوسنا من كل دنس الخطيئة بواسطة الاعتراف.

علينا أيضًا أن نعرف أنَّ المسيح الذي يُقدِّم لنا وليمة سر الشكر الروحانية، هو قائد جهادنا، يمدُّ يد المعونة، لا إلى أولئك الذين يرمون أسلحتهم ضعفًا، خائري العزائم خائري القُوَى؛ بل إلى أولئك الذين يُجاهدون بشجاعة ورجولة ضد خصمهم، والسيِّد الذي في كل سرٍّ يصبح كل شيء بالنسبة لنا عندما نُجاهد روحانيًا. إنه خالقنا، ويصير أيضًا مؤدِّبنا ورفيقنا في الكفاح الحسن. فنستحمُّ بالمعمودية، ويمسحنا فيما بعد، ويُغذِّينا دائماً بسرِّ الشكر.

الأرثوذكسيّة (٤٣)

قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الإيمان

تألّم ؟

إنّها كلمة واحدة: «تألّم» ولكن كم من ألم مُكَدَّس فيها ! لقد ذكرنا سابقًا آلام الصَّلب، ولكن تفَكَّر في أنواع الآلام الأخرى التي سَبَقَت الصَّلب. الجَلَدات التي تعني حرفيًّا تمزيق ظهر الإنسان إلى قِطَع حتى تجعل البعض يهتاجون إلى درجة الجنون، ثُمَّ أُسلِمَ إلى جُند ليستهزئوا به، ثُمَّ ضَفَروا إكليلًا من الشوك، ثمَّ أعطوه قضيب المُلك وثوبًا أُرجوانيًّا باليًا يرتديه مثل روب ، وسَخِروا منه كَملك وَكَنبي. ويكتب القديس أثناسيوس الإسكندري بخصوص هذه السُّخرية:

"لقد حكموا عليه وأدانوه بالموت كإنسان، وبينما هو مُقبِل على الموت فإنَّهم وقَّروه كإله. إنَّهم قَلَّلوا من شأنه إلى العَدم، ثمّ عاملوه كَملك وخلعوا عنه الثياب المعتادة ليُلبسوه الأُرجوان. لم يكونوا يَعلَمون مَن هو هذا الذي يكيلون له الشتائم والأذى الجسدي، ولكن رغمًا عنهم دعوه نبيًّا. وبينما كانوا يَسخرون منه ويضربونه، ومع ذلك فبالإجماع نصَّبوه بالانتصار، بالرداء الأرجواني، بإكليل الشوك وقَصَبة المُلك. حقًّا إنّهم فعلوا كل هذا بدافع السُّخرية، ومع ذلك وبدون إدراكهم، وبالرغم من أنوفهم، اقتَبَلَ منهم حقّه الواجب".

وهكذا فإنَّ **القدِّيس أثناسيوس** يتهكَّم ويقول. إنَّه حتى في سخريَتهم منه، فالمسيح ملكٌ ونبيٌّ قد أخذ حقَّه الواجب.

وبعد هزء الجنود به كانت عملية الصلب. إنَّهم قادوه إلى مكان الصَّلب من خلال أطول طريق ممكن، ومن خلال أكثر الطُرق ازدحامًا حتى يراه – إن أمكن –جميع الناس، تحذيرًا لأولئك الذين يفكِّرون في ارتكاب جريمة مماثلة. وعلى الأقل فالمسيح حَمَلَ صليبه في جزء من الطريق، وكُلَّما مضى انهالت عليه السياط إذا ما وقف بسبب الإجهاد.

ولا يفوتنا أن نذكر ألمًا آخَرَ ينبغي أن نُفكِّر فيه، وهو تخلِّي جميع تابعيه عنه وجفاؤهم له، فيما عدا بعض نسوة قلائل، والقدِّيس يوحنا البشير. تفَكَّر من فضلك في الألم المبرح من خلا هذه الكلمات: «نفسي حزينة جدًّا حتى الموت ...ثمّ تَقَدَّم قليلًا وخرَّ على وجهه وكان يُصَلِّي قائلًا: يا أبتاه إن أمكن فلتَعبُر عَنِّي هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تُريد أنت» (مت٢٦:٣٨ ، ٣٩). تفَكَّر في الألم الذي قاساه وهو يَعْلَم أنَّ واحدًا من تلاميذه سوف يُسَلِّمه بثلاثين من الفضّة، ثمن حقل الفخّاري.(انظر زكريا ١١:١٣) تفَكَّر في مدى التخلِّي الذي شَعَر به حتى قال: «إلهي إلهي لماذا تركتني ؟» (مت ٢٧:٤٦). إنّ قانون الإيمان يقول: **"تألّم"**، ولكن القديس لوقا يُسهِب ويستطرد ويوضِّح مقدار الألم فيقول: «وصار عرقه كقطرات دَم نازلة على الأرض»* (لو٢٢:٤٤). كان سهلًا على الله أن يخلق العالَم ويقول: «ليكن نور فكان نور»، ولكن أنْ يُعيد خِلقَة الإنسان وأن يُخَلِّصه، **كان يُلزمه أن يَعرَق دَمًا** .

* **وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض**:حالة طبيِّة نادرة أكَّدتها كُتب الطب الحديثة، وتَحدُث عندما يكون الإنسان تحت توتّر نفسي شنيع، فتنفجر الشُعيرات الدمويَّة تحت الجلد من شدَّة الضغط، وتمتزج بحبيبات العرق، الذي يَضحَى كقطرات دم. وتُسَمَّى هذه الحالة طبيًّا: ***Haemohidrosis*** حيث إنّ: *{ Haemo = blood }* و *{ Hidrosis = water or sweat}*

فعُمْرُكَ أيَّامٌ تُعَدُّ قلائِلُ

نَسِيرُ إلى الآجالِ في كلِّ سَاعَةٍ
فأيَّامُنا تُطْوَى وَهُنَّ مَرَاحِلُ
وَلَمْ أرَ مِثْلَ الموتِ حتى كَأنَّهُ
إذا ما تَخطَّتْهُ الأمَـانِي بَاطِلُ
وَمَا أقْبَحَ التَّفْرِيطَ في زَمَنِ الصِّبَا
فَكَيْفَ بِهِ والشَّيبُ في الرَّأسِ شَاعِلُ
تَرَحَّلْ مِنَ الدُّنيَا بِزَادٍ مِنَ التُّقَى
فَعُمْــرُكَ أيَــامٌ تُعَدُّ قلائِلُ

العظات الثماني عشرة لطالبي العمّاد

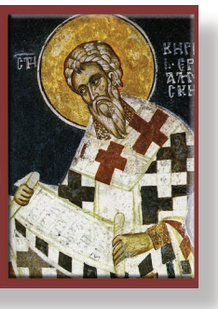

لأبينا القديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الثانية عشرة في العمّاد

«... تجسَّدَ وصارَ إنسانًا»

« ثمَّ عادَ الربّ فكلَّمَ آحاز قائلاً :
أطلب لنفسك آية مِن عند الرَّب إلهك...
فلذلك يؤتيكم السيّد نفسه آية :
ها إنَّ العذراء تحبل وتلِد ابنًا يُدعَى عمانوئيل»
إشعياء : الإصحاح السّابع

٢٤- العذراء من سلالة داود

ولكن اليهود مضطربون من هذه الآيات؛ وكان أشعيا يتوقّع ذلك عندما قال: «بودّهم أن تلتهمهم النار اذا أمكن، لأنه وُلد لنا ولد (وليس لهم) وأعطي لنا ابن» (أشعيا ٩:٦). لاحظ أولًا أنه كان ابنَ الله ثم أُعطِيَ لنا. ثم يستطرد فيقول: «وسلامه لا ٱنقضاء له، على عرش داود ومملكته ليقرّها ويوطّدها» (أشعيا ٩:٧). كانت العذراء القديسة إذن من نسل داود. (انظر رقم ٢٣ في العدد السابق).

٢٥- الميلاد العذري

كان في الواقع ملائمًا للطاهر ومعلّم الطهارة، أن يخرج من أخدارٍ طاهرة. لأنه اذا كان من الواجب لخادم يسوع أن يمتنع عن المرأة، فكيف يولد يسوع نفسه من رجل وامرأة؟ فإنه يقول عن نفسه في المزامير: «إنك أنت أخرجتني من حشا أمي» (مز ٢١ :١١)، فكّر بهذا «أَخرجتني من حشا أمي» الذي يعني بدون زرع رجل، كُوِّنَ في أحشاء العذراء ومن جسدها ووُلد منها، بخلاف منَ يولدون من زواج شرعي.

٢٦- قداسة جسد المسيح

يجب ألّا نخجل من القول بأنه كَوَّن جسده من هذه الأعضاء ذاك الذي خلق هذه الأعضاء. ومَن الذي يخبرنا بذلك؟ يقول الرب لأرميا: «قبل أن أصوّرك في البطن عرفتك، وقبل أن تخرج من الرحم قدّستك» (إرميا ١:٥)، ذاك الذي عكف على صُنع البَشر ولم يخجل، أيخجل من صُنع جسده المقدّس الذي حجب به لاهوته؟ وحتى هذا اليوم لا يزال الله يصوّر الأجنة في الحشا، كما هو وارد في سفر أيوب: «ألم تكن صببتني كاللبن وجمّدتني كالجبن، وكسوتني جلدًا ولحمًا وحبكتني بعظام وعصب»؟ (أيوب ١٠:١٠-١١). ليست هناك أي نجاسة في تكوين الإنسان، أللهم إلّا اذا نجَّس نفسه بالزنى والدعارة. فالذي جبل آدم قد جبل حوّاء أيضًا. وبيدين إلهيتين صُنع الذكر والأنثى. وليس في أعضاء الجسد التي خلقها الله منذ البدء ما يدعو الى الخجل. فليصمت إذن جميع الهراطقة الذين يحتقرون الأجساد ويزدرون بالخالق نفسه. أمّا نحن فنذكر قول بولس: « أو ما تعلمون أنّ أجسادكم هيكل الروح القدس وهو فيكم»؟ (١كور٦:١٩). وفي موضع آخر قال النبي عن شخص يسوع: «جسدي مأخوذ منهم» (هوشع يوناني٩:٢) . وجاء في موضع آخر: «لذلك يتركهم الى حين تلد الوالدة» (ميخا ٥:٣). وما هي العلامة؟ يستطرد النبي فيقول: «تلد فترجع بقية إخوته» (ميخا٥:٣). وما هي عرابين العذراء ، الزوجة القديسة؟ «أتزوجُك بالأمانة» (ميخا٢:٢٠). وهذا ما قالته أليصابات عندما كلّمتها: «طوبى لكِ يا مَن آمنت بأن ما بلغها من عند الربّ سيتم» (لو١:٤٥).

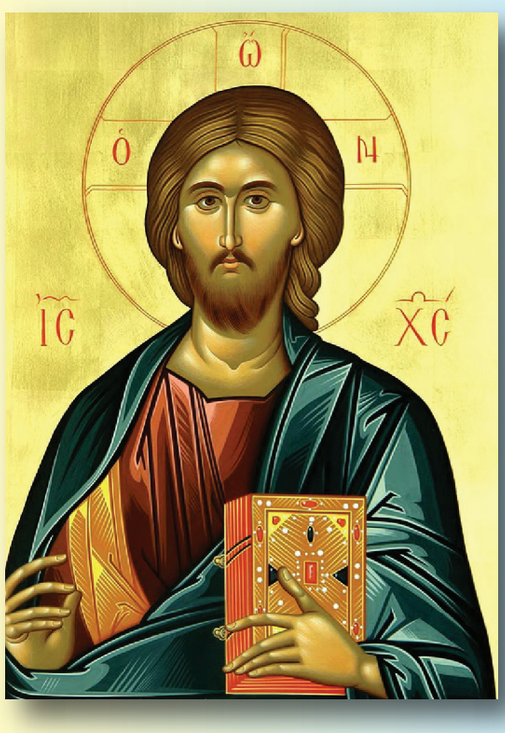

”حتى يُقرُّوا بألوهيته وسلطانه“

للقديس أثناسيوس الكبير

[فكلَّما ازداد الاستهزاء من غير المؤمنين، بالكلمة، يُعطي هو (أي المسيح) شهادةً أعظم عن ألوهيته؛ وكلُّ ما يظنُّ البشر أنه مستحيلٌ، فإنَّ الله يُثبِت أنه ممكنٌ؛ وكلُّ ما يَسْخَر منه البشر، كأمرٍ غير لائق، هذا يجعله بصلاحه لائقًا؛ وكلُّ ما يهزأون به - وهم يدَّعون الحكمة - على أنه أعمالٌ بشريَّة، فهذا كلُّه يُظهِرُه بقوَّته أنه أعمالٌ إلهيَّة. وهكذا، فمِن ناحيةٍ، يُحطِّم عن طريق الصليب - الذي يُظَنُّ أنه ضعفٌ - كلَّ ضلالات عبادة الأوثان؛ ومن ناحيةٍ أخرى، يُقنِع - بطريقةٍ غير محسوسة - أولئك المستهزئين وغير المؤمنين، حتى يُقرُّوا بألوهيته وسُلطانه].

العهد القديم في الكتاب المقدس (٨٥)

الفترة الرابعة (السقوط النهائي)

(٦٠٩-٥٨٦ ق.م.) :

عاصرت هذه الفترة أحداثًا عاصفة أودت بمملكة يهوذا ودفعت بها إلى سرعة نهايتها وأفقدتها أحلامها، لتدخل تحت نير جديد وإلى سبي لسنوات عديدة، ونلخّص أحداث تلك الفترة فيما يلي:

أولًا: قيام بابل الجديدة:

كانت بابل مُشَيَّدة على الضفة الشرقية لنهر الفرات القديم وذات أسوار وخندق مائي دفاعي فقد حدث أن نهضت كقوّة ضاربة أمام العملاق أشور وبعد موت أشور بانيبال سنة ٦٢٧ق.م. . أن ٱضطرّ العملاق الذي لا يُقهَر أن يركع على ركبتيه ويترك مكانه لآخر هو بابل التي نالت ٱستقلالها بواسطة مؤسّس المملكة (البابلية) الكلدانية الأمير الكلداني نبوبلاصر والذي حَكَمَ بابل (٦٢٦-٦٠٥ق.م.) كأول ملك كلداني وبعد ٱستقلاله تطلع إلى المدن الأشورية وممتلكاتها للاستيلاء عليها.

ثانيًا: سقوط نينوى (٦١٢ق.م.):

بعد ان ٱستقلّت بابل ظهر الماديون على مسرح الأحداث والتحركات العسكرية، واستطاعوا تأليف جيش **مادي** قوي استولى على شمال إيران، والرافدين ثم نزل إلى سهول أشور واشتبك مع الجيش الأشوري في حرب طاحنة، واتفقتا مادي وبابل معًا على تقويض المملكة الأشورية وحاصَرا العاصمة نينوى، وسقطت حصون المدينة سنة ٦١٢ق.م. بعد أن كانت سيدة غرب آسيا، وخرّب البابليون المدينة تلك المدينة التي أُرْسِلَ إليها يونان النبي وهي وإن كانت قد قدّمت توبة وندمًا (يونان١-٤) إلا أنها عادت ثانية إلى شرورها فنالت دينونتها المحقّة، وسفر ناحوم عبارة عن قصيدة فرح لخراب نينوى عاصمة أشور.

ثالثًا: نبوخذنصر الملك الكلداني (٦٠٦-٥٦٢ ق.م):

لم يوقف ٱنتصار نبولاصر على الأشوريين زحف الجيش المصري فتقدّم **نخو** إلى سوريا واحتل مدينة كركميش، ولما مات نبوبلاصر وكان نبوخذنصر ابنه على رأس الجيوش المحاربة اضطرّ إلى الانسحاب والعودة إلى بابل حيث تقلّد العرش، واتجه نبوخذنصر صوب مدينة كركميش (٦٠٦ق.م.) والتي كانت مقرّ قيادة الجيش المصري ، واصطدم الجيشان في معركة حامية انكسر فيها الجيش المصري وتراجع إلى حدود بلاده، وبسط نبوخذنصر سيطرته على البلاد، وعاد إلى بابل يشيد الأعمال العمرانية ويبني المدينة وقد أظهرت أعمال التنقيب في كركميش أثار الحريق والدمار في المدينة (أر٤٦:٢)، وفي صقارة عثر سنة ١٩٤٢م على رسالة أرامية أرسلها أحد حُكام مدن فلسطين إلى نخو يذكر فيها تقدُّم ملك بابل في البلاد وهو ما ذُكِرَ في (٢مل ٢٤ ، ٢أخ ٣٦).

الاكتشافات الأثرية في كركميش:

يسمى موقع مدينة كركميش القديمة، الآن" جرابلس" على بعد نحو ٦٣ ميلًا إلى الشمال الشرقي من مدينة حلب على الضفة الغربية لنهر الفرات. وقد قامت بعثة أثرية من المتحف البريطاني فيما بين ١٨٧٦، ١٨٧٩، وفيما بين ١٩١٢، ١٩١٤ بالتنقيب في أطلال المدينة فأسفر التنقيب في الموسم الأول (في ١٨٧٨) عن اكتشاف تماثيل حثية ونقوش هيروغليفية حثية، وفي الموسم الثاني في (١٩١٣) أسفر التنقيب عن اكتشاف قلعة حثية على قمة التل الذي ترقد المدينة القديمة أسفله وكان يحميها سور تخترقه بوابات أثرية ضخمة بين الأبراج، والجزء الأسفل من جدران هذه الأبراج، كان يمتلئ بالتماثيل والنقوش الحثية، كما كشف عن بقايا هيكل وقصر.

وتبدو المدينة على شكل ساحة مربعة غير منتظمة عند سفح القلعة، وتنفتح في القطاع الجنوبي للمدينة سلسلة من البوابات، كما وجد سلم أثري ضخم يصل ما بين الساحة والقلعة من الجهة الشمالية.